

الساحر والدرويش

إيمان سعد

إهداء

إلى من أخذ بيدي وحفزني على معاودة الكتابة مرة أخرى..

إلى الزميل المخلص والأخ الأكبر

إلى شريف خيرى

إلى الظروف التي جعلتني أخرج هذه الصفحات

إ. إبراهيم أحمد

"براشن الأمل"

بجوار ركن هادئ جلس على أريكته ولا يزال يتذكر وجهها الباسم
المضيء و عيونها التي كلما نظر فيهما يشعر وكأنما يغرق في
بحر ملئ بالأسرار. حينها تذكر اليوم الذى أتت فيه بأول زيارة
بعد انفصالهما . دخلت عليه ومعها ابنته فوجدته على حالة يرثى
لها فقد تغير كثيرا وبدأت عليه ملامح الشيب وملاً الشعر الأبيض
رأسه . ذلك اليوم قاده إلى الرجوع بذاكرته للوراء.

دخل غرفة نومه والهم يسيطر على كيانه إنها المرأة الوحيدة التي
تحملت الكثير ولكنه ضرب بكل ذلك عرض الحائط. لم يستمع إلى
نصائح أصدقائه واكتفى برفيقته المحببة لدى قلبه فلا أصدقاء ولا
عشق بعدك اليوم أيتها اللذيذة المذاق . إنك حب عمرى من أجلك
تركت الدنيا وجئت أحبو كطفل صغير مشتاق لأحضان أمه
واكتشفت أنك أنت الخائنة عندما كنت أستقى وأسكر من رشفة
واحدة أيتها الخمر الوردية اللون تركتني بمفردي وأنا المجنى عليه
.. تركت الكل لأجلك و ياليتني لم أفعل .. فارقتني زوجتي بسببك .
فلا عودة لكل منكما إلى أصبحت وحيدا إلى الأبد. لا يواسيني ..
ولا يسامرني أحد .

تحدث مع نفسه وندم على عمره الضائع من تناوله الخمر ، استيقظ
من غفلته بصوت جرس الباب فقام ليفتح الباب فمذ زمن لم يزره
زائر ، فوجئ عندما وجد القادم زوجته السابقة وبرفتها ابنته

الصغيرة لحظتها وقف ثابتا في مكانه وكأنما شلت قدمه . جرت
الطفلة على أبيها وقبلته واحتضنته وهو لا يزال مصدوما من هول
المفاجأة فهو لم يتوقع رؤية ابنته من جديد إنه القدر يجمع بينهم
مرة أخرى. حوّل نظره إلى أمها قائلا :

- إنها تشبهك كثيرا .
- لا تجامل إن أكثر ملامحها منك .
- تفضلا بالدخول .
- البيت لم يتغير عما كان عليه من قبل ، والسفرة كما هي و

.....

- ساعد الشاي والبسكويت لدعاء.
- لا تفعل ليس أمامي وقت للجلوس وعلي ينتظر بالأسفل .
- ودعاء.....
- هي سبب قدومي .. زوجي لا يريد لها معنا وجئت بها إليك
- ... أنت سبب ما يحدث لنا الآن .
- كفي ارجوك .. حرام ما تفعلينه بي . أنت والأيام تتفقون
- علي ، انا لا أقوى على التحمل أكثر من ذلك، ألا
- ترحميني كرهت الحياة بسببك وأتمنى لو يخطفني الموت
- فأستريح من كل ذلك .

- ابنتك امامك أنت المسئول عنها الآن وسوف آتي كل أسبوعين لأطمئن عليها .

قامت زوجته السابقة بتقبيل الطفلة والدموع تنهمر من عينيها تستحلف أمها أن تأخذها ولا تتركها مع أبيها وحدها.

لكن الأم استجمعت قوتها وخرجت قبل أن تضعف أمام الصغيرة فزوجها ينتظرها أسفل البيت .

تركته زوجته السابقة لهم أكبر . كيف سيتعامل مع ابنته وكيف سينفق عليها وهو لا يعمل .

دارت رأسه وفقد اتزانه وسقط على الأريكة ولم يدر بشيء بعدها إلا في عيادة الطبيب والصغيرة بجواره .

ضمها إليه وبكى إنه السبب فيما يحدث له ولا بنته وبُعد زوجته عنه فالمتاعب آتية ولا مجال لتحدي القدر كما كان يفعل من قبل .

أخذ العهد على نفسه بالتغيير وسيقوم بالبحث عن عمل من أجل الصغيرة التي بين يديه الآن.

فلن يجروا على التخلي عنها . إنها تشبه العصفور الصغير الضعيف تحتاج إلى من يطعمها وإن تركت ستموت .

- أيها التائه الضعيف جاء من سيخرجك للحياة ومن أجله
ستناضل ولن تعود إلى عشقك القديم البالي ، وصدق من
حرمها علي من قبل أن أعرف الحياة .

"عفريت الليل"

حكم عليه القدر بأن يولد فقيرًا لا أرض له ، لا مأوى له ولا حتى أهل يستظل بهم.

كل ما يملكه في هذه الدنيا البائسة التي يعيشها عُشّة صغيرة من الخوص والقش قام ببنائها على ضفاف ترعة الري في بلدته التي لا يعرف العيش في سواها .

أحس بالتيه وسط حياة واسعة لا يفهم مداركها ، تجول كثيرا بحثًا عن عمل دائم يأكل منه ويباشر حياته ولكنه لم يجد ، ظل ليليًا يفكر فيما سيفعله لإخراج نفسه من الضياع . فلا أحد يريد الاستعانة به سوى القليل من الناس عطا عليه ثم يعطيه القليل الذي يكاد يكفيه شر مد اليد . فلا أحد يثق به ولا أحد يريد أن يصاهره بحجة عدم معرفة أقاربه وأهله.

في إحدى الليالي التي كان يقضيها داخل عشته أخذ قرارًا جريئًا إما أن يسجنه أو يكون سبب في خلاصه إلى الأبد .

قرر أن يسافر لمقابله الرئيس جمال عبد الناصر حتى يقوم بتوظيفه ، وأخذ العهد على نفسه ألا يتكاسل في تحقيق ذلك مهما كانت العقبات .

عند بزوغ الفجر بدأ رحلته إلى المدينة الكبيرة " القاهرة " ،
وسافر قاطعا المسافة سيرا على الأقدام تارة ، أو راكبا أحد جمال
الفلاحين تارة أخرى أو حمارا ضل الطريق و يفترش الأرض
عند غروب كل يوم يمر عليه إلى أن وصل القاهرة وبمساعدة
السائرين في الطريق سأل عن مسكن الرئيس حتى وصل إليه .في
بداية الأمر اعترض الحراس على دخوله وقاموا بطرده أكثر من
مرة ومع إلحاحه وملازمته المكان قرروا عرض الأمر على
الرئيس ليبت فيه .

قاموا بإدخاله وعندما وجد نفسه أمام عبد الناصر تمنى لو أنه فعلها
منذ زمن ، يا ليت كل من بالقرية يرونه الآن ، يتحسرون على
معاملته السيئة ونهره باستمرار.

دارت رأسه عندما مد يده ليصافح الرئيس وكاد أن يسقط من هول
المفاجأة لكنه تماسك ، أهو يحلم الآن أم أنه حقا أمام زعيم الأمة
كلها ، طلب منه عبد الناصر الجلوس حتى يعرف سبب إلحاحه
على المقابلة ، أو هكذا الأيام أقرب إليه لتحقيق هدفه ... فلك أن
تطلب ما تشاء الآن أو هكذا بتلك السهولة ...يا ليت الساعة
تتوقف عن الدوران ...

ذكر للرئيس كل ما مر به من غدر الأيام وعن حالته البائسة
وطلب منه أن يعينه " حارس جرن الشعير والقمح بالقرية "
وبعدها يشكر عبد الناصر . وسكت عن سرد القصة عندما همَّ أحد
أولاده بإلقاء سؤال عليه :

- ماذا فعلت عندما وافق عبد الناصر على تعيينك ؟

أجاب الوالد :- بوست ايده يا والاه كنت هعمل أيه غير كدة .

وظل يقص على أولاده بقية القصة بعد ما خرج من عنده ، كانت
النشوى تملأ صدره وكأنه ولد من جديد ..

وقتها أحس بشيء من الغرور لم يذق طعمه من قبل ولم يشعر به
بين جنابات صدره إلا بعد تحقيق حلمه الذي كان يسعى إليه ؛
فبالرغم من بساطته إلا أنه يمثل الكثير لديه . أيامها تمنى كل من
بالقرية أن يزوجه إحدى بناته حتى ولو مكث معهم .

وأخذت الأيام في التغير وصولاً إلى زواجه ببنت العمدة . قاطعه
أحد أولاده مرة أخرى

- وبعدين يا أباه أية اللي حصل ؟...

- ولا قابلين .. اتجوزت أمك يا فالح وكانت جوازه طين
كرهتني في النسوان كلها.
- لية كدة بس يا أباه
- بس كفاية بقى يا واد أنت وهو قوموا ناموا بقى الصبح
قرب يطلع .

اتجه أولاده إلى ركن بجانبه للنوم وسط الشعير المفروش على
الأرض تاركوه لوحده من جديد ولليلة

المليء بالغموض والأسرار . جلس يشد نفس من الشيشة وهو
يحرس الشعير في الجرن الواسع وبالرغم من اتساع المكان وبعده
قليلا عن المساكن إلا أنه لم يخف يوما من ذئب متجول أو
مجموعة من لصوص الليل يتربصون به ، فلم تكن تعنى له
المكائد شيئا فكل شاغله الجرن والحراسة وإطعام صغاره وشاغله
الأكبر الذى يمتعته كثيرا عندما يحضر الشيشة ويجلس بالقرب من
المنقد يتسامر مع أحد أصدقائه أو أقارب زوجته في حضن الليل
الحالك حتى مطلع الفجر .

"الطرق على أبواب الجحيم"

في ذلك اليوم المشئوم ، جلس وحيداً على أرضية الغرفة الضيقة التي لا تتجاوز المتر ونصف طولاً ونصف المتر عرضاً، جلس يتسامر مع الحشرات الصغيرة الموجودة بأرضية الغرفة ، لا يدري من أين أتى ولماذا

بدأت الأفكار تتوافد وتتزاحم واحدة تلو الأخرى ، فدارت رأسه من هول ما حدث له ، قتلك الأشياء لم تكن في الحسبان ، فقد كان منذ عدة أيام يتحرك بكل حريه في الشوارع والميادين والحارات داخل الأزقة ، يواسى أحبائه ويخفف عن جيرانه آلام ومتاعب الحياة ، يضحك من كل قلبه أوقات الفرح والسرور ،

يبكى كما يشاء على أوجاعه وأوجاع أحبائه ، أما الآن فلا يدري هل تحجر الدمع في عينيه ، أم أن كبريائه يحتم عليه عدم البكاء رغم شدة الألم وقسوته .

تذكر اليوم المشئوم الذى كان فيه سائراً مع أحد أصدقائه حينها لمح من بعيد سيارة سوداء اللون ، مغطاه من الداخل بستائر لا يرى المار من جانبها ما بداخلها ، كنيبة المنظر ، لم يتوافد بذهنه أن تلك السيارة تطلبه هو وأنه بعد قليل يستقلها إلى مصيره الجديد المجهول .. إلى العدم .

لو أن الطريق ينطق لنبيه وقال اترك المكان في الحال ، لو أن
حفيف أوراق الشجر يتحدث لنصحته بالهروب ، حتى لا يلقى
القبض عليه .

هبط أربعة ضباط كل واحد منهم طوله يتعدى المتر والثمانين
سنتمتر.

جسد عريض ، عضلات مقتولة تكاد تشق ملابسهم ، سأله أحدهم
وكان يرتدى نضارة سوداء وبذلة رمادية اللون ويتقدمهم سيراً:
- أنت سيف محمد كارم .

أجابهم :- نعم أنا هو ذا .

أمر الرجل مرافقيه بإحضاره وقاموا بإدخاله للسيارة عنوة وبكل
غلظة وشدة حاول أن يتملص منهم دون جدوى . سأل من أنتم ؟
وأين نذهب ؟ ولماذا..؟ لكن لا أحد يجيب كأنهم تماثيل من حجر
يتحدث معهم .

بعد مدة من الزمن وصلت السيارة به إلى مقر أمن الدولة ، أدخلوه
غرفه واسعة بها أربعة أشخاص ، ثلاثة منهم واقفون وآخر جالس
على كرسي مكتبه أما الآخرون فبإشارة واحدة باليد من قائدهم

الجالس قاموا بالالتفاف حوله كمجموعة من الوحوش الضارية
المتجمعة حول فريستها الضعيفة وقاموا بإجلاسه على كرسي
وحيد بتلك الغرفة مستعدين لاستجوابه بإلقاء عدد من التهم ضده ،
منها تصنيع قنابل يدوية ، المشاركة في حادث تفجير أحد البنوك
، عملية اغتيال لواء شرطة... وغيرها من التهم التي لا يعرف
عنها شيئاً . انسابت عليه التهم واحدة تلو الأخرى كمن فتح صنبور
مياه وترك الماء ينساب منه دون غلقه .

في بداية الأمر لم ينطق شيئاً من الصاعقة التي أصابته .

لكنه تماسك وحاول إطلاق عنان لسانه ليدافع عن نفسه .

قال إنه لا يعرف شيئاً عن تلك المصائب التي يتهموه بها وأنه
إنسان على أد حاله كافي خيره شره ولا ينتمى لأي جماعات
وخلافه ، نهره الضابط وقال له :

-أحسن لك تعترف دلوقتي وتقرر علينا المشوار وتقول مين اللي
بيمولك ويبساعدك أصل في وسایل كثير هناخد بيها اللي احنا
عاوزينه .. ها ايه رأيك بقى؟

أقسم لهم بالإيمان المغلظة أنه برئ من تلك التهم وأنه لا يعرف
و....

- يووة شكلك مش ناوى تقصر علينا المشوار . وضبوة

كلمة قالها هذا الرجل جعل كلابه من المتواجدين ينهشون لحم
سيف قطعة قطعة من جسده من أعلى الرأس حتى أخمص القدمين
وهو يصرخ بأعلى صوته من شدة الألم ومن شدة العذاب
والضرب فيه ، فأحد الأشخاص الثلاثة المتسارعين على تعذيبه
رجل ضخم الجثة يشبه لحد كبير الثور الهائج في حلبات
المصارعة الخاصة به ، وقد أعطى الفرصة للانتقام من خصمه
في الوقت المناسب والرجل الثاني حاد النظر يشبه الى حد كبير
بوم الليل ، يحوم لاقتناص فريسته الضعيفة ، أما الثالث فهو يشبه
سواد الليل في أحلك أوقاته .

أشار اليهم المسئول بتركه لحظة ليفكر قليلاً بالاعتراف حتى
يرحم من العذاب القادم والمنتظر له

بدى له المشهد وكأن يوم الميعاد اقترب وجاء وقت حسابه من
منكر ونكير

يا ليتك تعلم على أي شيء تعذب وتضرب وتهان؟

يا ليتك تعلم لماذا قبضوا عليك؟

تراجعت الأسئلة داخل رأسه ولم يجد لها تفسير .

قاموا بإلقاء نفس التهم عليه مرة أخرى وذكروا أمامه عدد من الأسماء لم يسمع عنها من قبل حاول الرد عليهم من جديد بالإنكار ولكن هذه المرة شاهد ما لا يحمد عقباه من أصناف التعذيب لمدة النصف ساعة بعدها خر مغشيا عليه والدم يسيل من كل مكان بجسده

جاءوا بدلو ممتلئ بالماء وسكبوه عليه ليفيق من جديد.

ثم جروه إلى زنزانته التي يجلس بها الآن ويحاول أن يجد تفسير لكل ذلك أم أن كل ذلك أحلام وأوهام النعاس وسوف يستفيق منها .

إنه لن ينسى ما حيا منظر الكماشات التي قاموا باستخدامها لخلع مفاصل يده ، ولا جهاز الصعق الكهربائي الذي جعله كدائرة كهربائية يستطيع من خلاله إنارة شارع بأكمله ، ولا تلك الآلة الغريبة التي تشبه آلات الحفر في تشويه جسده .

كلا إنه الواقع المرير الذى يمر به ولا يريد تركه كأن الواقع عدو له ، عدو يريد أن ينتقم منه أشر الانتقام على أشياء لم يفعلها .

" أدى آخر المشى جيب الحيط يا عم جرب بقى "

استمر التحقيق معه عدة أيام مع تجربه أنواع مختلفة من أصناف التعذيب وآلات جديدة عليها تعطى النتيجة المرجوة باعترافه ، حتى يبوح بما لديه وفي آخر جلسة التحقيق كعادة كل يوم يغشى عليه ويجروه للزنزانة .

مرت عليه الدقائق وكأنها ساعات لا تنتهي فهو في حالة شرود مستمر ، يعيش على أمل واحد وهو الخروج من هذا الجحيم المستمر .

في إحدى المرات التي كان يفكر فيها تذكر أنه حضر ندوة مع صديقه عبد العزيز وكانت تلك الندوة عن أوضاع المجتمع المعاصر وكيفية القضاء على الفساد . تلك الندوة حضر فيها عدد كبير من المهتمين والمتقنين وبعض الصحفيين وكانت الأسئلة المطروحة في غاية الغرابة لدرجة تحولت فيها الندوة من موضوعها إلى موضوع آخر تماماً وانتهت بالسب واللعن والطعن لأشخاص والإشارة لأسماء معينة واشتباكات بالأيدي ، فقامت

مسرعاً إلى الخارج مع صديقي وحمدنا الله على أننا خرجنا قبل وصول الشرطة وأننا غير مصابين بأذى ، من الممكن أن تكون هذه الندوة السبب ولكن أنا لم أشارك في الحوار ولا الرأي وكنت أنصت فقط ، فهل تلك جريمة أعاقب عليها ؟ وأهان وأجلد عليها .
أثناء انهماكي بالتفكير سمعت رجلاً يصرخ وهم يجرونه قائلاً :
أنا علي ... أنا مرسل إليكم من عند الله ... فاستمعوا لي أيها الخنازير .

سمع من يجرونه يقولون علينا بالإسراع لإعطائه جلسة صعب بالكهرباء حتى يعود لصوابه مرة أخرى .

سقط برأسه على أرضيه زنزانته يرجو الله أن يخلصه من هذا الكرب العظيم وأن يفتح أبواب رحمته ليخرجه سالماً قبل فوات الأوان .

" البراءة المشوهة "

لا يتبادر إلى ذهنك عندما تراه وهو يركل الكرة أو عندما يعرقل طفلا في طريقه وهو سائرا أن ذلك طفلا عاديا مثل بقية أطفال القرية

إنه بمثابة القرد الهائج الذى يتسلق الشجرة بكل ما أوتى من قوة معبرا عن نفسه .. مزهوا بحركته السريعة الصائبة التي لا تخيب أبدا .

" يخرب بيتك يا إبراهيم "

قالها أحد المارة في الطريق ودائما ما يقولها الناس حينما يمرون عليه وهم ذاهبون إلى أعمالهم .

إنه طفل لم يتجاوز بعد العاشرة من عمره لكنك عندما تتعامل معه يخيّل إليك أنك أمام شاب في العشرينات من عمره بل يكاد يفوق الشباب في حديثه وذكائه ورده على الناس إذا ما قاموا بسبه ولعنه .

ذات مرة ذهب لأداء صلاة الظهر فهو نادرا ما يدخل المسجد بسبب زجر الناس وطردهم له .. لأعماله الشيطانية .. انتهاز فرصة الوضوء الجماعي للمصلين وقام بالمرور عليهم فرد فرد فضرب كل واحد منهم، أي جزء تصل إليه يده ... على الرأس ..

الظهر ... المؤخرة ... فعل ذلك وهو يفر بسرعة البرق ولأن
الناس مستغرقون في الوضوء والسكينة ، ذهلوا لحدوث ذلك الأمر
فتأخر رد الفعل لديهم وحينما هموا بمطاردته كان الأوان قد فات
وتبخر الطفل في الهواء .

هرب إبراهيم الصغير وسط غضب وسخط كل الموجودين
وقتها تأخر أداء الصلاة وظل الناس يسبون ويلعنون هذا الصبي
كما أنهم اكتشفوا بعد أداء الصلاة اختفاء بعض الأحذية الخاصة
بهم وكالعادة ردد بعضهم .. الله يخرّب بيتك يا إبراهيم

إن والد هذا الطفل طيب القلب رقيق الحال يعطف عليه الجميع
ويتعجبون .. فكيف لهذا الرجل أن يكون ولده أحد الشياطين
الصغار يشتكى منه الجميع ويتأذى منه القريب والغريب ولا
يعرف كيف يحل تلك المعضلة .

إن هذا الطفل ليس ولده الوحيد ويختلف كلية عن إخوته ولم تجد
معه أي وسائل التهديد والوعيد والضرب المتكرر .

ذات مرة قال أحد الجيران لأبيه مداعبا إياه .. أية رأيك يا عم
الحاج نجمع فلوس من كل الناس ونشتري شقة مخصوص

لإبراهيم بس .. يقعد فيها ونرتاح شوية ... ظل أبوه يضحك حتى
تساقط الدمع من عينه ورد قائلا :

- ياريت ينفع ... هم يضحك وهم يبكي والله ما أنا عارف
أعمل ايه معاه .. ربنا يهديه علشان نرتاح .

إن الهداية المطلوبة من الله لإنسان معين تهدف لإراحة الناس من
شره ، إن مثل هذا الطفل لا يسمع لأحد ، ولا يستجيب لأحد ، لا
لأمه ولا لأبيه ولا لأي أحد كان لا يعترف بأن لأحد سلطة عليه
هو ابن الطبيعة ويفعل ما يتبادر بذهنه سواء عجب أم لم يعجب
أحد ...

في إحدى المرات التي لا تنسى قام بشراء مجموعة من المفرقات
وجمعها وإخفائها في بيته داخل حجرته التي ينام بها حتى اليوم
المشهود ...

كانت الساعة الواحدة صباحا فقام بإخراج المفرقات وإشعالها
دفعة واحدة أمام بيته وفي نفس اللحظة أطلق مجموعة من
الصرخات المتتالية والعالية .. قام الجميع مفزوعين مهوليين
وقتها لم يدر أحد ماذا حدث هل احتُلت القرية ... أم قتل أحد .. أم
ماذا ..

وقامت إحدى السيدات بالصراخ وتبعتها أخرى دون أن تعلم ماذا حدث ..

حينما خرج الجار وشاهد ما حدث وقعت عيناه على " إبراهيم " وهو مستغرق في الضحك قال له : هو أنت يا ابن الكلب يا وسخ ليلتك سودا النهارده .. وجرى ناحيته ...

فبصره الطفل فأطلق لقدمه العنان وجرى ناحية الحقول المجاورة للبيوت وتبعه الرجل وظل يعدو إلى أن خرج من القرية وابتعد كثيرا والرجل يجرى خلفه يسب

ويلعن اليوم الذى ولد فيه هذا الطفل قائلا : والله ما أنا سايبك الليلة دى إلا لما أموتك .. خالص ونرتاح منك.

ولما نظر الطفل خلفه رأى الرجل يمسك بعصا غليظة متجها ناحيته تلفت الطفل يمينا ويسارا فلم يجد أحدا حوله والظلام يلف المكان فتوقف عن الجري واستدار يواجه الرجل ثم بدأ يبكي بشدة ، وبخوف وهلع فليس هناك غيره والرجل الذى يلحق به وسط الحقول في الظلام الدامس .. عندما اقترب الرجل منه ذهل من المنظر

لأول مرة في حياته يرى الرعب والهلع في وجه ذلك الطفل
الشيطاني والدموع الغزيرة المنهمرة منه... في تلك الساعة أدرك
أنه أمام طفل صغير لا يقوى على فعل شيء مهما فعل هذا
الشيطان ... فهو طفل صغير

ونسى ما كان منه وتذكر وجه الطفل فاحتواه وضمه إليه حتى يهدأ
وقال له:

- خلاص يا إبراهيم ماتعيطشى مش هضربك بس
ماتعملهاش تاني، خلاص بقى

أخذ الرجل الطفل عائداً إلى البلدة وعندما وصل وجد الجميع
خارج منازلهم ينتظرونه ووسط ذهول الحشد المتجمع ، لم ينطق
أحد كأنهم تماثيل ربضت لا يشغلها ما يدور من حولها، رأوه
محتضنا الطفل بكل ود وحنان كأنه والده وحينما اقترب من والد
الطفل انفرجت شفتاه عن ابتسامة رقيقة وأعاد إبراهيم سالماً دون
أن يحدث شيء .

"السائرون وهم نيام"

في إحدى قاعات الفنادق الفخمة جلس وهو ينفث دخان سيجارته التي هي من ماركة مالوبورو ، تذكر ذلك اليوم جيدا ، حينما وقف على محطة القطار بأسبوط وقرر السفر إلى القاهرة وعدم الرجوع إلى بلده مرة أخرى . كان هذا القرار هو الأصعب في حياته كلها ، فهو على الرغم من غناه وسيطرة أهله وأعمامه على البلدة واحتكارهم لتجارة الماشية إلا أنه لا يفضل البقاء معهم ، لا أحد يفهمه ولا أحد يهتم بأعماق فؤاده ونفسه العذرية المتلهفة لمعرفة خبايا وأسرار الوجود، إنه يسمو بروحه إلى ما وراء الوجود يتطلع إلى السماء ليل نهار ، يسير وسط الحقول الخضراء ، يتدبر في خلق الله لا يعترف بسلطة أحد عليه أما ذويه فكل شاغلهم في الحياة :

"العمودية " لا تخرج منهم لأحد حتى لو اضطروا لقتل الآخرين . كل شاغلهم في الدنيا ولا شيء غير .

وهو ...له أحلام وطموحات يريد تنفيذها منذ صغره لا يعترف بها أحد وكأنها من نسج الخيال لا تمت للواقع بصلة فمنذ تخرجه من كلية التجارة يريد البحث عن عمل كما يريد استكمال دراسته وعندما صارح والده بذلك أهانه أمام الجميع وقال له :

- تروح فين وتشتغل أية يا واد ... هو أنت محتاج ..وبعدين
عاوزك معايا

- في شغلات كتير بخصوص العيلة همسكها لك ..

رد عليه حامد :- أيوة يا حاج بس أنا كنت بفكر أكمل دراستي
وكدة .

- تكمل أية تاني أنت ما شبعتش طب على الطلاق ما انت
مكمل وريني بجى هتعمل أية .

- أنا مش صغير وحر في تصرفاتي .

وبعد أن نطق تلك الجملة هوت عليه لكمة كالصاعقة من والده
قائلاً :

- وكمان بترد على ولك عين والله عال دى أنا أدفنك بالحيا
أنت اتجنيت عاد.

كانت لتلك الليلة واقع أليم في صدره ، فهو مرهف الحس ، يفكر
كثيراً ، لا يكثر بأحوال غيره المتشابهة والمشاكل التي لا تنتهي

فكر أن يرحل من البلدة في الصباح الباكر متجها إلى المدينة
المزدحمة التي لا تعير أي من يدخلها اهتماماً . فالداخلون ما
أكثرهم وحلمه الوحيد بأن يعيش بالعاصمة .

استقل القطار وأخذ يبحث بداخله عن مكان فارغ يجلس فيه . وبعد
مشقة البحث وجد رجلاً كبير السن متهاك القوام كأنه من زمن
ولى يجلس بمفرده

ألقى عليه التحية ثم استأذنه للجلوس بجواره في المقعد الفارغ .
رد المسن السلام وأشار بيده فقط معبراً عن موافقته له بالجلوس.
مر الوقت وهو جالس يفكر ويفكر وتوالت المصائب على ذهنه
هل يتبرأ منى والدى إلى الأبد، هل سيطلق أمي....، هل
وبدا يتخاذل جسده فغفي مكانه مدة من الزمن.

وأثناء نومه حلم بفتاة صغيرة وجهها نصف مغطى يتساقط منه
الدم.

جاءته بملابس ممزقة وتقبض بيدها اليسرى على مسدس .

قامت تجره من يده وتقول له: أنت سبتني ليه ؟ سيبتنى لمين لازم
ترجع تاني وتشوف اللي قتلني ...رد على يا حامد ساكت ليه ...
وبدأت في البكاء والنحيب وتركته وذهبت بعيدا.

استيقظ من نومه مزعورا لا يجد تفسيراً لما حدث وقال لنفسه :
" وياترى من هذه الفتاة التي جاءتني وكيف سأساعدها من
المستحيل أن أعود مرة أخرى لأى سبب من الأسباب .. إنني
أخذت القرار وعزمت وتوكلت على الله أن يوفقني في رحلتي هذه
".

نظر بجانبه فوجد الرجل العجوز كما هو بجواره فسأله :

- قل لي يا أبويا هو اللي يشوف بحلمه بنت بينزل من راسها
دم وبتنادي على وبتعيط وتقول ارجع دي ايه .

انتبه الرجل واعتدل في جلسته ورد قائلاً :

- جولي كدة اللي شوفته واحدة واحدة علشان أفهم يا ولدى .

قص عليه حامد ما رأى دون أن ينسى شيئاً ولم يتوقع ما قاله
الرجل فما زال الجواب راسخاً في ذهنه حتى الآن .

- بجولك أية يا ولدى لازم تعاود في حاجه حصلت عنديكم
في الدوار لازم يا ولدي.....لأن والله أعلم في حد عنديكم
انقتل .

وقعت هذه الكلمات موقع الخنجر في قلبه ولم يصدق ما يسمعه .
هل ما أسمعه صحيح.... أم أن تلك أضغاث أحلام لا أقل ولا
أكثر.....

قال حامد :- بس صعب ازاى بعد ما مشيت أرجع ثاني

قال الرجل : لازم يا ولدى اللي انكتب على الجبين لازم تشوفه
العين .

تردد قليلاً ثم قال : خلاص هنزل المحطة الجايه وأبدل القطر .

وشكر الرجل على حديثه معه ومحاولته للمساعدة فقد أراهبه هذا
الحلم المزعج وكعاداته ظل يفكر ويفكر ربما يصدق الرجل أو
ربما يصل لنتيجة ما ولكن دون جدوى.... وعندما أهلك التفكير
عقله توقف عنه وشرع في تنفيذ ما عزم عليه .

نزل المحطة التالية وانتظر بداخلها لحين يعود مرة أخرى لبلدته
فيا ترى ماذا حدث

وعند عودته إلى القرية وبعد نزوله من القطار وجد الجميع
ينظرون إليه ويتهايمسون فيما بينهم . ألقى السلام على كل من مر
به حتى وصل إلى باب بيته ولحظتها لم يصدق ما رأت عيناه ..
أصوات نساء تصرخ وتولول ... وجسد ملقى على الأرض ملطخ
بالدماء يتحوطه الجميع بما فيهم أمه وأبيه

قال لنفسه : يا ترى مين اللي مات .

وحينما اقترب منهم ليفهم ما يحدث نظر إليه والده وهو يبكي
ويقول:

- أنت السبب في موت أختك .. أنت السبب في جتلها ،
عليه العوض ومنه العوض عليه العوض ومنه العوض
... يا رب ..

لم يتمالك أعصابه فهوى على جثة أخته " نبوية" يلقي عليها
النظرات الأخيرة والدموع تتساقط من عينه وقبلها على جبينها،
ثم صعد إلى غرفته مسرعاً لم يدر بعدها ماذا حدث.

ظل في غرفته قرابة الثلاثة أشهر لا يخرج منها ولا يأكل إلا بعد
توسلات أمه ودموعها التي لا تجف . بدأ في تناول القليل من
الطعام الذي يسد الخناقات المستمرة داخل معدته .

في أحد الأيام دخل عليه والده وجلس بجواره وقال له بأسى :

- يا حامد أنا غلطت سامحني أنا كنت بتخانج مع أمك
وانفعلت ونزلت عليها ضرب وهي ما سكتتشي وعصبتني
أكثر طلعت الطبنجة لقيت أختك نبوية هي اللي قدامى بدل
أمك وخذت الطلجة بدالها ...حجك على يا ولدى سامحني
لو عاوز تروح مصر ..روح بس أخرج من جوضتك
واتهوى وفرج عن نفسك وأنا هبعثك الفلوس اللي تكفيك
... سامحني يا ولدي

ثم تركه والده مع نفسه مرة أخرى لعل كلماته تهدأ من روعه
وألمه .

دخل حامد في دوامة تفكير مع نفسه طول اليوم حتى ساعة متأخرة
وظل مستيقظاً حتى صباح اليوم التالي ليفاجئ الجميع بنزوله
القاهرة وهذه المرة دون رجعه .

"مهب الريح"

على عادة كل يوم، يفيق محمود من نومه على صوت منبهه
الفضي الذي أهده له زوجته أثناء فترة خطوبتهما . قام بإغلاقه
مثلما يحدث كل صباح وبعدها يغط في النوم مرة أخرى ، حتى
تدخل زوجته وصراخها الذي يشبه صفارة الإنذار وبكلماتها
المندفة من فمها كأنها مدفع رشاش يستفيق من جديد قائلاً لها :

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم... أنت ايه ما بتتعيش ...

لسانك اللي عامل زي المبرد ما بيزهقشي.. أعوذ بالله

ترد عليه زوجته :

- قوم يا راجل لشغلك ... هتتأخر ... هناك منين

وبعد الانتهاء من الشجارات المتكررة ينهض لأخذ حمامه وبعدها
يرتدي ملابسه التي قلما يجد منها شيئاً نظيفاً فيرتديها مضطراً
دون حق الاعتراض.

إن زوجته على الرغم من لسانها الطويل إلا أنها تحملت معه
الكثير وصبرت على ظروف معيشته المتعثرة الحال، كما انها
منشغلة مع أولاده الأربعة وفي مذاكرتهم فلا يعنفها على شيء
تركته .

يخرج من غرفته يتناول فطوره على عجل من أمره حتى لا يتأخر على عمله .

وأثناء هبوطه وصعوده على السلم دائماً ما تتربص به جارتة وصاحبة البيت "الست سنية" ، إنها العقدة الوحيدة في حياته التي لا يجد لها حلاً ، فهي تراوضه وتغازله بكل الطرق ولا تتركه لحاله ، فهي تعيش وحيدة بعد وفاة زوجها و لا يوجد لديها أولاد ، بمعنى لن يحاسبها أحد على أفعالها تدبر وتنفذ ما تريد ، تشبه الحية المتوارية تنتظر أن تواتيها الفرصة المناسبة لتتنقض على فريستها ثم تستمتع بعصرها

حدث ذات مرة ان تطور الموقف بينهما فقامت باستدراجه داخل شقتها وكادت أن تقع المصيبة في غرفة نومها وفي آخر لحظة أنقذه الله بصوت جرس الباب وصوت ينادي من الخارج " يا خالتي سنية" وقتها تمنى لو انشقت الأرض وابتلعتة ، وحدث نفسه قائلاً :

- الله يخرب بيتك يا محمود....هتودي نفسك في داهية....

ماشي ورا المرة السايبة دي...دي عاوزة أي واحد
وخلص ..اه يا بنت الكلب...يا بنت الكلب .

ولما دخلت عليه الغرفة تتبختر وتتمايل بجسدها المكتنز باللحم
وجدته قد ارتدى ملابسه وهو يسب ويلعن أجدادها وتركها وخرج
متخفياً عن أعين سكان البيت . داعياً الله ألا تراه زوجته فتحل
عليه الكارثة ناهيك عن فضيخته وسط أهل الحي.

إنه موظف بسيط يعمل في أحد المصالح الحكومية التي يجلس
الموظفون فيها على مقاعد، يتناولون الإفطار ،يتحدثون....
يضحكون... يتكلمون في السياسة ثم يتطور الحوار فتراهم يسبون
بعضهم .. يهجر كل منهم الآخر رغم جلوسهم في نفس المكان .
من الطبيعي أن ترى ذلك عند دخولك أي مصلحة حكومية من
اللحظة التي تضع فيها قدمك تتمنى لو تخرج ثانية ولكن الحاجة
تفرض عليك الامتثال والتوسل من حين لآخر إلى الموظف لإنهاء
ما جئت لأجله . وأحياناً تمد يدك في جيبك وتخرج بورقة نقدية
لإنهاء أعمالك على وجه السرعة .

وصل محمود متأخراً وقد اعتلى وجه الغضب ولم يلق على أحد
تحية الصباح فتعجب الجميع ، جلس خلف مكتبه وتناول أوراق
العمل بكل حزم لينهي ما بها من أعمال معلقة ، لاحظ صديقه عبد
الجليل تغير وجهه وتعكر مزاجه فترك مكتبه وتوجه إلى محمود
ثم جر مقعد وجلس بجواره وبصوت منخفض قال له :

- مالك يا محمود في أية على الصبح... من ساعة ما دخلت
وانت مش مضط...

رد عليه قائلاً :

- مشاكل البيت .. والأولاد ... مشاغل الحياة بقى أنت
عارف .

لم يقتنع صديقه بالمبرر الكاذب فالموضوع أخطر من ذلك بكثير
وهذا يبدو على وجهه فبادره قائلاً :

- اسمع بقى أنا مش مضط عليك إما تعوز تتكلم هسمعك
...أنا قايم أكمل شغلي .. وأنت اهدى كدة وصلي على
النبي .

استغفر محمود ربه واستعاذ من الشيطان واستأنف عمله وهو على
هذا الوضع حتى قاربت الساعة الثانية ظهراً وأوشك موعد العمل
على الانتهاء فأغلق ما بحوزته لاستكمالته بالغد .

أثناء خروج الموظفين سار محمود بجوار صديقه عبد الجليل وقال
له :

- عاوز أتكلم معاك شوية تعالى نقعد في حنة .

رد عبد الجليل :

- حاضر يا سيدي .. تعالى .. بس ما تتأخرش أصل مراتي
تعملها مناحة ومش بعيد تتهمني إني اتجوزت عليها....

ضحك الاثنان ضحكا هستريا ثم قال عبد الجليل :

- أيوه كده طنش وكبر دماغك ما حدش واخد منها حاجه ...

حكى محمود لصديقه عن جارتهم وعن أفعالها التي ستهدم بيته
يوما ما ، ولا يعرف حل لتلك المعضلة ؛ فهي صاحبه البيت ومن
الصعب البحث عن مكان آخر هذه الأيام كما أنها تتهمل عليه عند
تأخره في دفع الإيجار وحالته لا تسمح له بزوجه ثانية .

بعد سماع عبد الجليل هذا الكلام عنف صديقه قائلاً :

- اتقي الله في نفسك وعيالك ... الست دي ملكش دعوة بيها
خالص... ولو وقفت لك تاني على السلم خلي مراتك تنزل
معاك لتحت وتطلع تاني بعد ما تمشي .

رد عليه :

- المصيبة إنها بجحة ما فيش في دماغها حاجة غير إنها
تصطاد واحد وخلاص ... ولو قلت لمراتي انزلي هتشك
في ومش بعيد تقول في حاجة بينك وبينها وتطلب الطلاق
.

- بص يا محمود اتصرف تنزل مراتك ... تنزل ابنك
الصغير بأي حجة ... أي حد معاك وبعدين يطلع تاني...
اعمل إنك تعبان ودايخ فترة وخلي حد ينزلك لتحت
وبعدين تفك ..

- بقى يا عالم الواحد يبقى في بيته ومش عارف يرتاح طيب
وأنا راجع من الشغل أعمل أية؟؟

- بسيطة أي حد من الشارع اتكلم معاه وخده في ايدك وأنت
طالع لحد ما توصل ويبقى ينزل ... أو اتصل بابنك الكبير
يقابلك على السلم ويشيل الحاجه اللي معاك .

ظل الاثنان يفكرا في حل مناسب لا يضع مجالاً للشك والريبة وفي
نفس الوقت لا يضر أحداً . ثم اتفقوا على تنفيذ خدعة بسيطة .

عاد محمود إلى بيته ورجا الله أن يساعده فيما سيفعله . وبينما هو
يصعد الدرج ظهرت أمامه سنية تطلب منه دخول شقتها .. فحاول
تركها وعبرها إلى أعلى لم يفلح فجلس على الدرج يشهق بقوة

واضعاً يده على صدره ويسعل ويسعل ويطلب منها النداء على زوجته فقد
جاءته نوبة وسيموت وبأعلى صوته قام بنداء زوجته باسمها
.. يا سحر... ويسعل... يا سحر... ويشهق فتركته سنية ودخلت
مسرعة وأغلقت باب الشقة في وجهه وعندما برزت سحر زوجها
محمود فتحت سنية الباب وكأنها مضطربة لما سمعته وقالت :
- في أية؟! ... مالك يا أستاذ محمود؟؟ ... ما تتفضلوا يا
جماعة جوة .

قالت سحر لزوجها :

- مالك يا محمود... في أية....

وأمسكت يده تقبلها أمام سنية بكل ود وحنان والدموع تنهمر من
عينها تمسح على صدره براحه يدها وسنية تنظر بكل غيظ فتملكها
الحسد فقالت :

- يوة أية الدلع دة ... قوموا ادخلوا شقتكم اعملوا اللي أنتم
عاوزينه... رجاله آخر زمن .

ودخلت شقتها وأغلقت الباب بقوة في وجه محمود وزوجته فذهلت
سحر وقالت :

- ما لها الولية دي ... أية اللي كايدها..

ثم أمسكت يد زوجها وأسندته وصعدت الدرج معه وهي تحتضنه جيداً خوفاً عليه . لم يتوقع محمود كل ذلك الاهتمام من زوجته فسر في نفسه لما فعلته وعندما دلفوا داخل شقتهم أجلسته زوجته والتف حوله أولاده فقال لزوجته :

- أنت خفتي علي

- طبعاً هو أنا لي غيرك يا محمود.. ربنا يخليك لنا ويديك الصحة

- ما كنتش أعرف إنك بتحبيني كده ..

- أنت جوزي وأبو عيالي والعشرة اللي بينا ...دي عمر يا محمود .

قبل محمود يد زوجته بعد ما حدث وطلب منها تشييعه كل يوم للأسفل حتى لا يسقط على الدرج وهو بمفرده ، وحمد الله على ما حدث فقد سقط أمامه قناع إبليس المتمثل في سنية و علو شأن سحر لمساندتها له في كل الأحوال .

" أضغاث أحلام "

خرج توفيق في الصباح من بيته للاستمتاع بجمال الربيع المزدهر
والمنتشر حوله في كل مكان ، الطيور تغرد فرحة تغدو وتروح
كأنها خرجت لتوها من قفص صياد ماهر ، الاشجار الخضراء
العالية تغتر بأوراقها وغصونها ترفع قامتها عالياً في شموخ ،
الشمس ترسل أشعتها الذهبية في جميع الاتجاهات محاولة ارضاء
الجميع ، الكل في تناغم وانسجام فريد من نوعه .

جال توفيق بنظره هنا وهناك كأنما يطمئن قلبه أن ما يراه حقيقة
لا نسجا من خيال .. نظر إلى السماء فشاهد سربا من الطيور
يتقدمها قائد الكل يرضخ لأوامره إذا ما ذهب في اتجاه تبعه باقي
السرب ، وإذا حط قليلاً من ارتفاعه فعلوا مثله.... أيفهموا ما يفعله
... أيتحدث معهم ويصرخ فيهم مثلما يفعل البشر، أيغضب عليهم
ويعاقبهم... يا للروعة إن المجموعة كأنها فرداً واحداً..

ظل يتابعهم حتى اختفوا في الفضاء الممتد على مرمى البصر ...
نظر حوله فوجد ثلاث فراشات بيضاء اللون تطير جيئة وذهابا
كأنها تتبختر بجمال اجنحتها ولربما تغيظه لعدم قدرته على
الطيران مثلها في ذلك الفضاء الرحب .. ما كل هذا الجمال الذي
يعجز العقل عن استيعابه و يعجز اللسان عن التعبير والنطق
بجماله ... إن المبدع المسئول عنه أشد جمالاً مما نتوقع ... هذا
فيض قليل من فيضه الكثير .

إنه ينعم بالراحة بعيدا عن بيته.

بعيدا عن تطفلات الآخرين والمزعجين يمتزج كل جزء من وجدانه مع ما يشاهده من هذا السحر العذري الذي أبدعه الخالق الواحد.

ظل على حاله المتأمل حتى وقت الظهيرة ولما أصبحت الشمس في كبد السماء ، جلس على مقعد خشبي موضوع أمام باب البيت ليستريح قليلاً او عله يغفو وسط الطبيعة المنكشفة أمامه هاربا من صخب البيت ومن فيه ، إنهم دائمي التشاجر الكل يتشاك مع الآخر وكأنها معركة لا تنتهي ، الجميع يصرخ في وجه الآخر تشعر أن البيت تحول إلى مصح عقلي ...

متى يأتي الوقت ويتصالح الجميعليعقدوا هدنة ثم يستأنفوا القتال مرة أخرى؟!!!

الأب لا يكف عن السباب ولعن زوجته وأولاده واليوم الذي تزوج وأنجب فيه ..

أخته الصغرى لا يجف لها دمع ، تجلس معظم الوقت وحيدة
بغرفتها وإذا دخل عليها أحد تنزلق أسفل غطاء فراشها بسرعة
البرق حتى لا يتحدث معها أحد .

أما الأم فهي تتحمل وتصبر من أجل أولادها ، تستسلم لقدرها لا
تعرض على واقعها الأليم .

في إحدى زيارات أمها اشتكت لها من زوجها وأفعاله وصارحت
أمها بطلب الطلاق ، فصرخت في وجهها قائلة :

- طلاق أية ... انتِ اتجنيتِ ... عمره ما يحصل وأنا عايشه
.. وعيالك هتعملي فيهم ايه ... وبعدين الرجالة كلهم كدة ..
عصبيين ما بيستحملوش نفسهم .. سيبك من الهبل ده
وارضي بنصيبك .

حياة أشبه بالموت منها من الحياة كيف يمكن للإنسان
الاستسلام والخضوع لمجرد أن .. هذا نصيب ... إن الله لا يرضي
لعبيه بالذل والانكسار ما دام يبحث عن حقه في أن يحيا بعزة
وكرامة .

وأثناء جلوس توفيق سمع صوت صراخ عال يأتي من داخل البيت
وشاهد والدته قادمة نحوه بالخطى السريعة تنهمر من عينيها
الدموع وتقول له

- الحقني يا توفيق .. تعالى شوف أختك سعاد جرى لها ايه

هب منز عجا من جلسته وقال لها:

- في ايه .. ايه اللي حصل!!؟

قالت والدته ان اخته سعاد تصرخ في نومها ولا يستطيع احد
ايقظها رغم محاولات والده المتكررة بسكب الماء عليها وضربها
على وجهها وبعد هذا كله قام أخيراً بتلاوة آيات من القرآن الكريم
داخل اذنها علها تجدي ولكن لم تستيقظ .

دخل توفيق إلى البيت مسرعاً وتبعته والدته وهما يرجفان خوفاً
وقلقاً على الصغيرة التي لم تتجاوز الثامنة بعد ، عندما دلف توفيق
غرفة اخته سعاد شاهد والده منحنياً عليها يتلو عليها بعض آيات
القرآن ويقبلها والدموع تنهمر منه إنه يشاهد والده يبكي لأول مرة
في حياته تحجر في مكانه من هول ما يرى اخته مخشبه على
سريرها تطلق الصرخات المتتالية دون يقظة منها الجميع يقف

مكتوف الأيدي... حاول مساعدة والده لكن دون جدوى ... إنه لم
يرأه في هذا المشهد من قبل... وما هذا... وعما ينم إن
العرب يسيطر على الجميع والعجيب أنهم ينتظرون....

بعد الربع ساعة تقريباً من الصراخ والانتظار المميت لمن بالبيت
استيقظت سعاد وعندما فتحت عينيها ووجدت الجميع ينظر إليها
فوجئت فارتدى والدها على مقعد بجانب السرير قائلاً :

- الحمد لله رحمتك يا الله

أقبلت والدتها عليها تقبل وجهها حامدة ربه على سلامة ابنتها .
قالت سعاد :

- ماذا حدث..... لماذا يقف الجميع حولي....ولماذا
تبكون.....

وقف الوالد وخرج من الغرفة دون ان ينبس بكلمة .

قالت سعاد:

- حلمت انني كنت اسير في غابة كثيفة الأشجار متشابكة
الأوراق وارتدي ملابس ممزقة حافية بلا حذاء ... اعدو

مسرعة إلى الداخل ويعقبني عفريت على هيئة بشري
يريد أكلي ويقول .. لن أتركك .. انت لي وكل جزء منك
لي ... وأنا أعدو وأصرخ والهواء شديد يعوقني ... ولا
ادري ما أفعل حتى ظهر والدي فجأة وسط الأشجار ومعه
رمح مشتعل ووجهه إلى ذلك العفريت فاخترقه واحترق
كلياً ما عدا قرنه الذهبي الذي يعلو راسه لم يصبه شيء
وعندما خر ساقطاً اطلق ضحكة عالية قائلاً : "سأعود
الربيع القادم من جديد ولن أتركك فإن القرن الذهبي
لن يذهب بعيداً "واقترب أبي لأخذ القرن ولكنه طار
بعيداً ولم تصل يد والدي اليه وبعدها استيقظت .

أحس توفيق بضيق صدره لم يسمع من قبل بحلم كهذا ، وما معنى
قرن ذهبي ، وما معنى سيعود ، هل سيحدث مكروه لأختي ثانية
.. أم لن يأتي عليها الربيع مطلقاً مرة أخرى ... حاول التفكير في
الامر لكنه لم يخرج بنتيجة .

طلب توفيق من أمه ان تتركه بعض الوقت مع أخته ليتحدث معها
ويؤازرها حتى يصل لأسباب حدوث تلك الفاجعة .

ربت توفيق على كتف أخته سعاد وقال لها:

- ما بك يا سعاد هل تشعرين بسوء هل ضايقتك أحد....

ردت عليه :

- انا اشعر بالأسى عندما أجد أبي يسب ويلعن أمي و
أسلافها وذلك اليوم حينما لطمها بقوة وظلت تبكي اليوم
بطوله وأنا أبكي من اجلها .. إنه لا يتفاهم معها أو معنا
وأغلب الوقت يكون شاردا في ملكوته .

ولكنني أحب أبي ولا أريد أن أفقده وهو حي يرزق . أنا أشعر في
لحظات بضيق منه وأتمنى لو تركنا فترة من الزمن لأجدد حبه في
قلبي مرة أخرى .

قال توفيق :

- الحياة مليئة بالصعاب فلا تقلقي الأوقات تمر بحلوها
ومرها.... وما علينا سوى الرضوخ للأمر الواقع حتى
تنتهي الشدائد .

قام بتقبيل أخته وتركها وحدها بالغرفة لترتاح وتهذا أعصابها ،
خارجاً لعالمه الواسع الذي لا يفهم مداركه إلا خالقه .

"الراعي"

جلس عبد القادر تحت شجرة التوت المنزرعة على ضفة التربة
بالقرية ليستظل من حرارة الشمس الملهبة يراقب قطع الأغنام
الذي يحرسه ، قال لنفسه لا بأس من الارتياح قليلا فالأغنام أمامي
أتابعها واليوم طويل....

نظر عبد القادر إلى الحشائش الخضراء وإلى أفواه القطيع الجائعة
التي تنهش بكل ما أوتيت من قوة كأنها لم تر الطعام من قبل أو
ربما حبست بعض الوقت فخرجت تفتك وتنتقم من الحشائش
الظاهرة أمامها .

إنه يحسد هذه الأغنام على حالها فهي تخرج إلى الدنيا لا تهتم بأب
أو أم ، ترعى بجانب بعضها تتكاثر وتلد وتعطي الحليب أما أنا....
مشرد... مشنت الفكر لا أعرف كيف أنتقم من قتلة أبي... وكيف
سأسدد الدين...

إن اللصوص فتكوا به وحده ليلاً... أثناء نوبه حراسته للأموال
والأعراض الجبناء تربصوا له خلف وابور الطحين
لينالوا منه ولا يشعر بهم أحد .

وعندما رأوه قادما انتهزوا فرصة دنوه منهم فانهالوا على رأسه
ضرباً بالحديد.

وقاموا بربطه وأكملوا الضرب على جسده ولم يكتفوا بذلك بل
قتلوه خنقا بكيس بلاستيك ظل على رأسه عندما وجده أهل القرية
.....

الأنجاس جردوه من ملابسه وخوزقوه ثم سرقوا سلاحه الحكومي
وهربوا.....

إن ما حدث يعبر عن الانتقام القذر.... العديم من الشفقة و الرحمة.
مجموعة أفراد مقابل واحد..... لا بد من الثأر بأي ثمن كان.....
وليكن ما يكن.

وسط اندماجه في التفكير لاحظ شرود بعض الغنمات عن بقية
القطيع وابتعادها حتى وصلت لمنحدر ترعة الري فهب واقفا
لنجدتها .

إنها لو سقطت ستغرق وبالتالي سيفقد ثقة صاحب العمل ويتم
طرده وهو بحاجة إلى العمل المضمني والمستمر لمدة ثلاثة أعوام
متتالية لتوفير ثمن السلاح المفقود.

فقد عاهد الجميع على تسديد حقه ، لقد ذهب في يوم بعد وفاة والده
للاتفاق مع صاحب الأغنام على رعيها بدلاً منه، ولأن الرجل

طاعن في السن لم يرفض طلبه مقابل أجر تم الاتفاق عليه
يتقاضاه عبد القادر شهريا .

إن عبد القادر لا يكف عن العمل ليل نهار في الوقت الذي ترتاح
فيه الأغنام يعمل في الحقول عند أهل القرية ... يحمل قش الأرز
لإخراجه من الأرض يروي لهذا ... ويزرع لذلك ، عله يوفر
القليل من المال لمساعدته على المعيشة فهو وحيد أمه لا يملك من
الدنيا سوى بيته الذي تركه والده كما أن أعمامه ليسوا ميسوري
الحال يسعون أيضا على رزقهم لسد الأفواه الجائعة من البنين
والبنات ...

و في إحدى الليالي وأثناء جلوسه بالبيت مع أمه سمع صوت أحد
أعمامه ينادي من الخارج فقام لفتح الباب وعندما دعاه للدخول رد
عليه قائلاً :

- مش وقته إحنا مش غرب عن بعض تعال عاوزينك في
موضوع عند الحاج عمر.

قال عبد القادر :

- خير إن شاء الله ما يكونش في حاجه وحشه .

- خير....تعالى...

استأذن عبد القادر والدته وخرج مع عمه لحضور اجتماع في غاية الأهمية عند عمه عمر كبير العائلة .

ظل يفكر طول الطريق حتى وصل إلى البيت ولم يصل إلى تخمين الأمر ...

عندما وصل هو وعمه إلى بيت الكبير جلس الجميع ملتفين حول الحاج عمر الذي يجلس على أريكة قديمة الطراز وقد أسند إلى ذقنه عصا غليظة طرفها الأول على أرضية الحجرة والآخر في يده ملامسة لوجهه .

بدأ الحاج عمر كلامه بذكر الله ثم أردف يقول :

- إحنا هنا الليلة دي علشان أقول لكم إني عرفت الجماعة اللي قتلوا أخونا وعرفت بلادهم كمان وكلهم سبعة رجاله ... من البلاد اللي حوالينا....

قاطععه أحد الجالسين قائلاً :

- لم آخذه يا حاج أنت متأكد منهم يعني هم صح.... لأحسن
نروح نقتل ناس تانية ما لهاش ذنب.

رد عليه :

- أبوة متأكد أنا بقى لي أكثر من ست شهور بسأل وبتطقس
وفي ناس كمان بتساعدني....ومش كدة وبس دا أنا
شوفتهم واحد واحد واتكلمت معاهم في السوق من ورا
بعض بمعرفة ناس

هنا قاطعه عبد القادر :

- خلاص يا عمي التنفيذ امتى وازاي....
- احنا هنقسم نفسنا كل اتنين مع بعض يروحوا بلد بالليل..
كلنا في وقت واحد يوم الخميس ...

وظل الإجتماع العائلي قرابة الساعتين يحددوا فيه المهام وكيفية
دخولهم القرى المختلفة و مكان المطلوب وطريقة القتل المتفق
عليها.

وعند إنتهاء الإجتماع قال الحاج عمر :

- حق أخونا هيرجع وكلنا لازم نجيبه علشان يرتاح في
تربته .. واد يا عبد القادر أنت في اليوم ده تخلي الناس
كلها تشوفك وتسهر في الدار مع اتنين تلاته كدة من البلد
وتنام في الدار وتصحى عادي ولا أكن في حاجة...
فهمت..... إحنا قلنا لك علشان ما تحسش اننا سايبينك
لوحذك وشايلين ايدينا من الموضوع .

رد عبد القادر :

- انا عاوز اخذ حق ابويا بايدي يا عمي
- أنت لسه صغير وممكن الحكومة تقبض عليك وتحبس
كده احسن وانا قررت وخلص .

ارتبك عبد القادر وسط الجلسة ولم ينبس ببنت شفه لقد قرر عمه
ووزع العمل على الجميع دونه وحده..

أهذا عدل...

إنه أبي أنا والأولى أن أشارك في أخذ الثأر....كيف يعقل أن يرد
غيرك كرامتك... ولو كانوا أقرب الناس إليك... أنا من يعمل لسداد
دين أبي....أنا من يشعر بالسوء لحسرة أمي....أنا من صلب أبي

لا بد أن أشارك.... ولكن لو حدث مكروه سأترك أُمي وحيدة تنذبني
وتضع التراب على رأسها.... إن قتلت سيعايرها الجميع بدلا من
عزائها.... ستشرد أُمي أو من الممكن أن تجن ، فأنا تعويضها عن
موت أبي.

ماذا أنا فاعل؟

ألهمني يا الله

وبعد تفكير شاق قال :

- لا لن أشارك سأنتظر كما قال عمي وإن فشلوا فسننفذ ذات
يوم.

" الكونت مونت مروان "

لاشك أنك حينما تنظر إلى هذا الشاب يعجبك حسنه وقيافته
وتنسيق ملابسه التي عندما تراها على جسده تظن أنها صنعت له
وحده دون سائر البشر.

نهارا يرتدي نظارته الشمسية صيفاً وشتاء ، لا يهتم برأي أحد
يرتدي أحذية ماركات عالمية ، ينفق كل ما يجني على نفسه لا
يبيالي بحاله بيته المادية ولا ينصاع إلى توسلات أمه ودموعها في
أن تأخذ منه ولو القليل من المال . إنه مروان ... الطفل المدلل
أصبح ذنباً خبيثاً ليتك لم تكبر يا ليت المرض أكل جسدك
من أعلى رأسك حتى أخمص قدمك ... تصبح لا شيء وبلا شيء
....

أما ليلاً فالتسلية والمرح وتعاطي جميع أنواع المخدرات من
أقراص المروفين ... الترامادول ... حشيش وغيرها أكثر من
مرة يعود مترنحاً لا يقوى على حمل جسده يدخل غرفته لا يشعر
بركلات أبيه او صفعاته المتكررة إلا حينما يفيق وينظر للمرآة
فيرى آثار الضرب المبرح على جسده .. لا يكثرث فقط يتحسس
وجهه ،

ثم يدخل لأخذ حمام طويل لعله يزيل بقايا عدوان أبيه عليه . منذ
ولادته وهو المدلل ... المحمول على الأعناق من الجميع ... فلقد

تأخرت أمه في الإنجاب وعندما حملت به فرحت بشدة ولما علمت من الطبيب أنه طفل ذكر تغيرت الموازين وكأنها تحمل في أحشائها البطل الذي سيخلص العالم أجمع من أسره وذله.

وأثناء ولادته تعثرت أكثر من أي سيدة أخرى وظلت تتاجي الله أن يلطف بها وبصغيرها . ولما وضعت كان طفلا فائق الجمال . بهي الطلعة فاستحسنه الأقارب وأشادوا بجماله للغرباء حتى وارتته أمه عن الأنظار خوفا عليه من الحسد ، كان يمرض كثيراً ... هزيل الجسم عن بقيه أقران سنه ، ذاق أهله المرار حتى كبر ولم يفلح في اجتياز شهادة الإعدادية فترك التعليم واتجه للعمل في إحدى مصانع الغزل والنسيج.

أما الآن فالكل يبعضه ... ينفره ... يكرهه لأفعاله الغوغاء .

في إحدى ليالي الشتاء القارص اتفق مع أقران السوء للسهر حتى الفجر مادام بيته خال من ناسه فقد سافر أبواه لزيارة بعض الأقارب صباح ذلك اليوم ، وقالت له والدته :

- حافظ على عقلك سليما وعلى البيت حتى أعود في الغد ، لن نتأخر أكثر من يوم فلا تجلب أصدقاءك إلى البيت .. هذا أمر واضح وصريح يا مروان ...

ترك والديه يهبطوا من البيت واتصل بأصدقائه يدعوهم بالمجيء إليه لقضاء الليلة عنده .

قاموا بشراء كمية كبيرة من الأدوية المخدرة مع زجاجات بيرة وعبوات من السجائر وظلوا يتعاطونها حتى منتصف الليل .

ملأت النشوى صدور المجتمعين وأحسوا بما يحتاج كيانهم فقال أحدهم :

- انا أشعر كأني أغوص في أعماق البحار والمحيطات مع حوريات بحر بلون المرمر الشفاف وأضاجعهن جميعاً حتى يغشى علي .

قال آخر وهو يرشف من زجاجة البيرة :

- وأنا أطيّر مع طيور الليل أعلو وأهبط فوق قمم الجبال العالية و أنزلج على جليدها الناصع البياض وأقطف أجمل الزنابق لوضعها فوق رأس حبيبتي وأمسك يدها وأقبلها حتى الصباح

بينما ضحك الآخر وهو ينفث دخان سجارته في الهواء ويسعل بشدة قائلاً :

- أما أنا فأتمنى أن أضاع زوجة أبي حتى الموت لأستريح منها ومن مكائدها التي لا تنتهي وحتى يشعر أبي بالعار ويجهد بالبكاء .. كم أتمنى رؤية والدي والحزن يسيطر عليه ، ليتني أستطيع صفة كما يفعل بي دائماً .

أما مروان لم يعقب على شيء واكتفى بالاستماع لهم وهو يتعاطى ما بحوزته من أقرص .

ضحك جميع الموجودين وقام أحدهم بتشغيل الكاسيت بأعلى صوت وعلى كلمات المطرب والموسيقى الصاخبة ترددت الكلمات ... يا بنت السلطان ... حني على الغلبان استيقظ الجيران ووجهوا آذانهم ناحية الصوت الذي يردد المية في ايديكي

قام أحد الجيران بدق جرس الباب فلم يسرع أحد بفتح الباب ولما لم تفلح توسلاته أخذ يطرق بكل ما أوتي من قوة على الباب عسى أن تجدي محاولاته وكأن أهل البيت مع الأموات .

فتح الأهالي النوافذ والغضب يسيطر عليهم من هؤلاء المزعجين عديمي الأدب ثم توجه أحدهم إلى الهاتف لطلب النجدة .

استمر الوضع هكذا والمطرب يغني يا بنت السلطان...حني
على الغلبان.... حوالي الربع ساعة .

وصلت سيارة الشرطة و الجميع مستيقظين ينتظروا مدامه
الشرطة للبيت وإلقاء القبض على السكارى وتأديبهم على فعلتهم
الشنعاء . قام رجال الأمن بتحطيم باب البيت للقبض على ما
بداخله . وجدهم فاقدى الوعي جميعاً وسط زجاجات البيرة
وأعقاب السجائر وبعض الأقراص المخدرة ولا أحد منهم يدري
بما حدث فطلبوا سيارة الإسعاف لإنقاذهم من حالة اللاوعي التي
كانوا عليها.

"القاضي والجلاد"

الحاج متولي عبد السلام قالها أحد سكان القرية حينما سأل عنه أحد الأغراب .. شخصية خيالية ، لا تصدق ما يحكى عنه إلا حين تراه عينك ... طويل القامة ... أسمر اللون ... مجعد شعر الرأس ... يرتدي جلبابه الفلاحي طوال الوقت ... شال أبيض على رأسه يعرفه جميع القاطنين في الناحية وإذا نزل غريب ، يقيم في بيته الواسع المكون من طابقين .

يحكم بين الناس جميعاً في أوقات اليسر وأوقات العسر ، لا ترد له كلمة كأنها سيف على رقاب الجميع .

والكل يؤتمر بإشارة واحدة منه . القوة .. السيطرة .. الشدة والحزم في الأمور مع أقاربه قبل قاصديه . يخشاه الغريب ويبجله القريب ... لا يخجل من شيء على الإطلاق لأن مبدأ حياته يقول إن تخجل من أفعالك فأنت لست جدير بمكانك .

في بعض الأحيان يقسو على من يحيطون به ، ظناً منه أن رهبه النفوس هي مصدر بناء حضارة بأكملها منطق السوط علي الظهور الخبيثة فقط . لا ينطق أحد في مجلسه إلا حينما يأذن له .

عندما تمر عليه في الصباح تجده أمام بيته يشد نفساً من الشيشة ويستمتع إلى أخبار المنطقة العربية . له رأي يحتذي به ونظرة

ثاقبة في جميع نواحي الحياة . ليس بعمدة القرية ولا يحتاجها في شيء فالجميع يشيد به...حتى العمدة...

في أحد الأيام جاءه زائر من قرية مجاورة يريد ماله من أحد الفلاحين بالقرية ويدعى عوض الله؛ فقد تأخر عن دفع إيجار أرضه الزراعية ويشتكى له إهمال الرجل في الأرض .

نادى الحاج عبد السلام على أحد أولاده و أرسله في طلب عوض الله ليستمع إلى ما يقوله صاحب الأرض . وعندما أقبل عوض الله ألقى التحية وجلس على أحد المقاعد وقال :

- خير يا حاج في أية ..

رد عليه الحاج :

- أنت يا يالا ما دفعتش إيجار الأرض لية لصاحبها وكمات

قاطع قلبها في الزراعة لا بتحط لها سباح ولا كيماوي

- يا حاج والله الظروف وحشة... الايد قصيرة والعين

بصيرة

- سيبك من الكلام الخايب بتاع النسوان دة قدامك أسبوعين

تتصرف وتدي الرجل حقه ... يا إما قسماً بالله أربطك

على العمود اللي قدامك ... الناس تقول أية البلد بقى فيها
نصابين إما أموت ابقوا اعملوا اللي أنتم عاوزينه .
- حرام عليك يا حاج ..يبقى موت و خراب ديار ... أني ما
معايش ولا صاغ أدفعه ما فيش صبر يا ناس .

وهنا تكلم صاحب الأرض وقال للحاج

- اعطه فرصة شهراً كاملاً وبعدها افعل به ما تشاء ،
تصرف معه كما ينبغي .

اعترض الحاج على حديث الرجل إنه أعلم منه بأهل قريته يعرف
من يماطل في الدفع.... ومن لا يدفع من الأساس...الفلاحون
أكثرهم مكرأ و لديهم عقول إبليسية في التخطيط والتنفيذ .. إن
المهلة المحددة كما قال الحاج أسبوعين ولا اعتراض من الطرفين
وذلك إذا أراد الرجل الحصول على ماله.

امتعض عوض الله واستأذن تاركاً المكان على مضض فهو في
أعماق قلبه يكره الحاج عبد السلام لتدخله في شئون الجميع وهل
يجرؤ أحد على الوقوف ضده . ستكون مجزرة من طرف واحد
فقط ينتصر فيها الحاج بجدارة .

إن لقب حاج يطلق عليه كما يطلق على كبار السن دائماً دون أن يكون ذهب لأداة فريضة الحج .

حدث ذات مرة وقام اثنان من شباب القرية بالسخرية منه أثناء المرور على بيته ظنا منهما أن بذلك يحط من قدره فما كان منه إلا أن استدعاهم وهو جالس دون أن يقف أو ينطق بكلمة أخرى ، واغترارا منهما ذهبوا إليه ، فهب من مجلسه ولطم كل واحد منهما عدة لطمات كادت تسقط وجوههما ، وبسبب الآلام التي شعرا بها تدفق السب واللعن من أفواه كل منهما وسط الحشد المتجمع على الصوت ، فقام بربطهما على عمود الكهرباء لليوم التالي دون تدخل من أحد .

وبعد مباحثات أهل القرية وتوسلات آباء الشابين ، قام بالعفو عنهما ولكن الشابين لم ينسا ذلك الموقف له .. بعد مرور شهر على الواقعة قاما بملاحظته عن بعد ومحاولة التودد إليه والاستماع إلى بطولاته حتى موعد الانتقام المتفق عليه...

كان يوم الخميس ليلاً وقد لجأ الجميع إلى الداخل للاستمتاع بشهواتهم وإفراغ رغباتهم المدفونة ؛ فتجول الشبان حول مداخل ومخارج القرية كلها للاطمئنان على عدم مراقبة أحد ، وقاما

بإحضار دلو من الجاز وآخر من السولار وسكبا ما بداخلها على جدران منزله وقذفوا بالبقية أعلى البيت ، ثم قاموا بإشعال النيران بالبيت وفرا كلاهما إلى بيته .

اشتعل البيت بالنيران وتصاعد الدخان الأسود الذي يقتل الأنفاس وتصاعدت معه أصوات صراخ من الداخل واستيقظت القرية كلها من غفلتها ليتحسسوا الأمر .

بعد حوالي الخمس ساعات بزغ الفجر لينم عن تعاون أهل القرية في إطفاء الحريق ويكشف عن جثة الحاج عبد السلام الذي رفض الخروج من بيته هاربا من ألسنة اللهب المشتعلة بعد إيقاظه لأولاده ودفعهم خارج البيت ، قانلاً لزوجته قبل خروجها:

- اللي فكر في أذيتي وموتي واحد مننا ... يبقى بيكرهني ...
علشان كدة موتي أفضل من إني أخرج مهزوم قدام الناس
اللي شمتانة في وفكرت تأذيني .

ظلت زوجته تندب وتنعي زوجها وقت تشييع الجنازة وأثناء دفن الجثة حتى فرغ الجميع وولوا إلى بيوتهم لتناول طعام الغداء .

" حكمت المحكمة غيائياً "

نظرت إبتسام من الشرفة المطلة على الشارع الخارجي بكل أسى
تفكر فيما قاله والدها عن الشخص المتقدم لخطبتها ..

فمنذ إنتهاء دراستها الثانوية وهي تشعر بالضيق من معاملته
والديها ، وأسلوب الضغط المتكرر عليها كي تقبل بأي شخص
يتقدم لها ، المهم أن تتزوج بأسرع وقت ممكن وإلا سيمر الوقت
وفوتها قطار الزواج .

إنها الآن على مشارف العشرين من عمرها تعيش ، يمر يومها
تذبل مثل أزهار الحديقة بفعل الكلمات المسممة التي تتلقاها لا
تعرف من اسمها معنى سوى ما تخطه بيدها على ورقة أو
عندما تنظر في بطاقتها.

تفكر في يوم غد ، ماذا سيكون مصيرها أترضخ وتستسلم لهم
..... أم تبقى على موقفها .. الراض لبيع جسدها لأي شخص يملك
نقودا .

وجهها ملأني ولكنك حينما تنظر إليه تتعجب من حجم معاناه
صاحبه ، والهموم التي يحملها داخل وجدانه تساقط جزء كبير
من شعرها الأسود المموج بسبب حزنها وشروء تفكيرها .

عندما تقدم لها شخص من معارف والدتها ومع الضغط المستمر عليها وكم الإهانات اضطرت لقبوله ، ولو لفترة وجيزة حتى تتخلص منه بطريقة ما .

لا أحد يعيرها أي اهتمام ؛ فأعمال البيت على عاتقها وإطعام إخوتها ... لا يجب عليها الراحة حتى تفرغ من مهامها وإن تأخرت في أداء ما عليها قد يصل الأمر بها إلى الضرب المبرح .

ذات مرة أثناء مشاهدة الأسرة للتلفاز طلب أحد إخوتها من والده شراء هاتف محمول له، لكن الأب لم ينصاع للولد فرد عليه قائلا :

- لماذا إذاً إبتسام تحمل هاتفا وسوف تترك البيت وترحل
للزواج أما أنا فباق معكم ولا تريدون شراء هاتف لي

نظرت إبتسام لأخيها بذهول وترقرق الدمع في عينيها وتركت مجلسهم ودخلت غرفتها تبكي على ما حدث .

ألهذا الحد لا تعنيهم كرامتها يريدون التخلص منها بكل الوسائل ... إذا أبدت رأيها لشيء قالوا :

- أنت فتاة... والفتيات للزواج فقط... ما عليكى سوى السمع والطاعة

وماذا بعد الزواج أستتزوج من جنس آخر غير الآدمي..... أم
هي للمتعة فقط لا لشيء آخر.....

إن هذا المنظور ليس بخاطئ ولكنه منظور مقيت ، بغيض في
امتهان فتاة والحط من شأنها ...

يعتبرونها كالبهيمة التي لا شأن لها في الحياة غير مضاجعة رجل
ثم..... إنجاب عدد من الأطفال ويا حبذا ... لو كانوا من الذكور...
دون الإناث حتى يحملوا اسم أبيهم بعد موته ... أعندما يموت الأب
يشغله توريث اسمه ... أم أن الموت هو امتداد للحياة ...

ظلت على حالتها من الشرود حتى رأت ابنه عمته " علياء "
قادمة نحو البيت لزيارتهم .. إنها ترتاح لمجالستها فهي فتاة عنيدة
... واسعة الثقافة... تعمل في إحدى شركات الكهرباء بعد تخرجها
من كلية الهندسة وهي الآن في الثلاثين من عمرها تساعد إبتسام
وكثيراً ما تدخل في صراع مرير مع والد إبتسام للحد من منطقته
الذي ينتهجه وبطبيعته الحال تكون الغلبة له في النقاش لأنه دائماً ما
يذكر علياء ... أنها فاتتها القطار ولن يتقدم لها غير المتزوجين أو
المنفصلين عن زوجاتهم .

إن مثل هؤلاء تمتلئ بهم البلاد ، عديمي الفائدة، يحبون المال ..
ويقصدون الشهوة ... أما البنون فهم الذكور ولا مجال للإناث
وسطهم ؛ فالصبي سند أباه ... حامل الراية من بعده حتى لو كان
فاسدا.

دق جرس الباب فقامت إبتسام مسرعة لاستقبال علياء وإخراج ما
بصدرها عليها ترتاح قليلاً ...

قصت إبتسام ما بدر من أخيها ومن أفعال والديها لابنه عمتها
"علياء" فغضبت لأجلها وقالت لها :

- لا تتنازلي عن موقفك افعلي ما يريدك قلبك ثم ما يمليه
عقلك ولن تندمي أبداً .

لا تحزني لإهمالك فهم مثل الكثيرين من حولنا لا يدرون كيف
يعيشون ولماذا وما الوقت المحدد لهم .. كل شاغلهم المتعة
وإفراغ الشهوة ... لا بأس من مضاجعة زوجاتهم ثم ضربهم أو
طردهم من البيت أو من الممكن الوصول إلى طلاق يجدد به
زوجته.

قاطعتها إبتسام قائلة :

- أنا لست قوية مثلك فأنا لم أكمل دراستي بعد ويرفضون
إدخالي الجامعة بسبب المصروفات ... وأنا لا أستطيع
المجازفة والعمل مثلك أيام كنتي في الجامعة ... إن
الأشخاص مثلك نادرون جداً ... لا .. لن أستطيع

ردت عليها علياء :

- أنا عملت وأنا بالجامعة حتى أتخلص من قيود أبي ،
وصرخاته في وجهي ، ولأجني مالي بنفسي ويرضى
ضميري عما أفعله .. إن طريق النجاح يبدأ من إصرارك
على مواجهه الواقع بكل أسلحتك المتاحة حتى تنجح
وتحقق أملك الذي لن يبينه لك أحد ... لا أب ... لا أم ... لا
زوج ولا أبناء كل منا يحمل عنوان نفسه فقط في النجاح
أو الفشل .

قالت إبتسام وهي حزينة :

- سأحاول الوقوف من جديد على قدمي ... وسأفعل
المستحيل حتى أقبل بالجامعة رغماً عنهم ولتكن تلك
البداية ... أما ما يأتي فيحتاج صبرا ودعما منك طول
الطريق .

ابتسمت "علياء" وانفرجت أساريرها لما سمعته أخيراً من "
إبتسام" الآن فقط سننتصر عليهم بالأمل والتفاؤل ولن تنتهي
المعركة .

"رمال البحر الناعمة"

وقفت المعلمة "صفاء" داخل حجرة الدراسة لإلقاء الدرس على
مستمع طلابها المتجاوز عددهم الخمسون بالمدرسة الابتدائية
المطلّة على شاطئ البحر .

نظرت إليهم بكل ود وحنان كأنهم أولادها الذين لم تتجهم بعد
وقالت لهم :

- اليوم سنبدأ معاً درساً في النحو يسمى الإعراب .

التفت الطلاب بعضهم لبعض وبدأوا كعادة كل يوم معها الهمس
والضحك المتواري خلف مقاعدهم ... وجوه ملائكية صغيرة لكنها
حينما تخطط لشيء لا يقف أمامها أعتى حاجز فلاذني ... قوة
شيطانية في التدبير لأفعال إجرامية بصغر سنهم .

نظرت إليهم المعلمة من خلف نظارتها وضربت بيدها على
المكتب المائل أمامها لإسكات الطلاب ومتابعة الدرس.

تحاول بكل الطرق الدخول إلى أعماق هؤلاء الشياطين الصغار
فكل شاغلهم في الحياة اللهو والمرح دونما حساب ومهما كانت
العواقب .

بعد الانتهاء من درس اليوم أعلن الجرس عن موعد الفسحة فهي
ملجأ الجميع لتناول الأطعمة والمشروبات واستكمال " لعب الكرة
"

يا لهؤلاء الصغار .. ماذا سيكون مشهد العالم بدونهم ... إنهم
كبلورات صنعت لتزيين أجمل التحف النفيسة ولكنها وضعت في
متحف الحياة.

وقفت المعلمة تنظر إلى البحر من أعلى تبتهج لرؤية الأمواج
المتلاطمة كأنها تدعوها لزيارتها يوم ما . يمتزج وجدانها بمياه
البحر وحينما تنظر تجاه الصخرة الكبيرة القابعة داخل البحر
يختلط معها الواقع بالخيال ... تحلم بقدوم موعد الحبيب
الغائب...متى سيأتي .. أين هو الآن... وهل سيجلس بقربها يوماً ما
فوق تلك الصخرة تحوطهما المياه من كل جانب . تحس بقرب
أنفاسه و بدفئ راحة يده وصدره الذي يضمها إليه .

دق الجرس مرة أخرى معلناً عن استئناف بقية الدروس لهذا اليوم
. بينما تقف المعلمة " صفاء "

ولا تشعر بما يدور حولها من حركة الطلاب والمعلمين إلى أن
جاءها أحد الطلاب قائلاً :

- أبلّة حضرتك علينا دلوقتي

في البداية لم تسمعه ولكنه كرر الجملة أكثر من مرة فانتبهت له وعلى الفور اتجهت إلى حجرة الدراسة مصطحبة معها هذا الولد المتطوع لتنبيهها بين الحين والآخر.

في إحدى أيام الشتاء كانت تنتظر تجاه البحر وقد وضعت وشاح أسود اللون على كتفيها لجلب مزيد من الدفء لها ، خيل إليها أن هناك صياد ماهر يحاول اصطياد بعض الأسماك التي تساعد على المعيشة وإطعام أولاده .

كانت وقتها خالية من العمل فهبطت على الفور لأسفل حتى تتمكن قليلاً على شاطئ البحر وتراقب الصياد عن قرب .

الأمواج تتراطم بقوة ...تلاحق بعضها البعض... كأنها في سباق أزلي ، لا تحد من سرعتها ولا يقوى على منعها أحد ، تشبه الأحصنة في حلبة السباق ..

لم تلاحظ " صفاء " وجود أحد على الشاطئ فقد كان خالياً نظراً لبرودة الجو وارتفاع الأمواج ؛ فقررت النزول قليلاً للتمتع بالمياه

أما الصياد فينظر إليها وتتنظر نحوه ، يبتسم لها فتردها له وهي تقترب منه أكثر وأكثر ... لم تشعر بجسدها الذي بدأ يغوص بأكمله ويختلط بالبحر وفجأة استفاقت من خيالها وجالت بنظرها هنا وهناك لم تجد أحد ؛ فقد اختفي الصياد كيف هذا ... لقد كان أمامها ... وفقدت اتزانها وحاولت أن تضرب الأمواج بيدها والعودة إلى الشاطئ مرة أخرى ولكن دون جدوى .

في تلك اللحظة جاءها سباح ماهر يحاول السيطرة على الموج وإخضاعه لعله يصل إليها ويقوم بإنقاذها ..

ظل يقاوم ويضرب ... ويصارع الموج حتى وصل إلى " صفاء " كانت قد فقدت الوعي ولم تشعر بوجوده فقام برفعها داخل المياه وعمل على سحبها إلى الخارج يدعو الله ألا يحدث لها مكروه .

وبعد مرور برهة من الوقت فتحت " صفاء " عيناها فوجدت نفسها محاطة بعدد من زملائها يتهايمسون فيما بينهم ينظرون إليها وإلى "سمير" الذي قام بإخراجها ثم قال احدهم :

- حمد الله على سلامتك يا أبله صفاء "

ردت عليه بثقل وهي مشدوهة :

- الله يسلمك .

انصرف الجميع وظلت هي ممددة على رمال البحر وبجوارها
زميلها "سمير" الذي أنقذ حياتها فهي لم تشعر به وهو يراقبها
ويرسل عينيه إليها في كل خطوة كانت تخطوها داخل البحر
إنه ملاكها الحارس ... يضع نفسه موضع المسئول عنها ... حتى
يخرجها من أي مأزق تقع فيه .

فلتشهد الرمال التي تجلس عليها ... فليشهد البحر الهائج ... السماء
المحملة بالغيوم ...

أيتها الطيور التي لم تخرج اليوم ... أيتها الشمس التي لم تشرق ...
يارياح البحر العاتية إنها أمامه الآن وبين يديه بمفردهما على
الشاطئ.

نظرت صفاء إليه وإلى الصخرة البعيدة ثم أغلقت عينها وهي
تبتسم له .

"الخائنة"

وضعت " عفاف " الزهور داخل مزهريتها بنفسجية اللون وهي
تبتسم لزوجها " جمال " وتشيع له قبله من ثغرها في الهواء .
ردها زوجها لها على الفور وهو يمسك بجريدة الأخبار يتصفحها
كعادة كل صباح يوم الجمعة .

إنه يوم الراحة بعد عناء ومشقة العمل طوال الأسبوع تجتمع فيه
الأسرة كاملة العدد لتناول طعام الغداء بعد أداء صلاة الجمعة .
يتوسط الأب المائدة ويتوزع أبناءه حوله ويبدأوا في تناول الطعام
حتى الشبع لتستأنف الأم ترتيب بيتها قبل الخروج .

يخرج الأولاد للعب الكرة والتمتع بجو الصحبة تاركين أباهم وحده
، أما الأم فهذا اليوم بالنسبة لها مناسب لتبادل الزيارات بينها وبين
أقاربها فتذهب لرؤية والدتها والاطمننان على أبيها طريح الفراش
.

قد يمر النهار كاملاً دون أن يصعد أحد للبيت ؛ فالبيت خالي إلا
من الأب " جمال " الذي يأخذ بحس بيته حتى يعود الجميع وتدب
الحياة فيه مرة أخرى .

إن الحب الذي يلف البيت ليس بغريب ؛ فجمال يعبر عن مكنونه
وما بداخله لزوجته بين الحين والآخر

كما أن الله رزقه بثلاثة من الأبناء بعد انتظار دام عشر سنوات لم تنجب خلالها زوجته ابناً واحداً

وبعد طول انتظار وفقدان الأمل رزقه الله بأول وليد له ابنه " محمد " فرحوا به كثيراً وأقاموا الموائد شكراً لله على كرمه .

وبعده بعام واحد جاء إلى الدنيا ابنه الثاني " عمر " حبيب أمه لأنه يشبهها ومتعلق بها أكثر من إخوته . أما ابنه " سعيد " فهو آخرهم وأذكى عقليه من الجميع .. يجلب المشاكل لأخوته حتى لا يطيله العقاب ولا مانع من إذراف الدموع لحبك الحيلة فكما يقول عليه والده :

- ما يتخافشي عليه أبداً...ده يتخاف منه بس .

دخلت " عفاف " على أمها فقبلتها وسألتها عن صحة والدها المريض فحمدت الله على حاله ما دام على حياة الدنيا معها .

فتحت باب الغرفة لتطل على والدها تتحسس حالته وتقبل يده وتدعو الله أن يخفف عنه البلاء ويغفر له ثم خرجت لمجالسه أمها والتحدث معها في بعض الأمور .

وأثناء الحديث معا سمعت صوت شجار امرأتين من داخل الشقة المجاورة لأمها.

وازداد الشجار وتطور الموقف بالخارج إلى أن أطلقت إحدى المرأتين صرخة عالية وتلتها بعض الكلمات الجارحة لزوجها .

خرجت عفاف لمعرفة ما يدور ولتهدئة الوضع بينهم وذكرت مرض أبيها وأن عليهم الالتزام بحقوق الجار ولكن لم يعيرها أحد انتباهه.

نظرت عفاف للزوج وقالت له في ضيق شديد :

- ما تسكت النسوان دي....هو أنت مش راجل ... اومال متجوزهم ومش عارف تمشي كلمتك عليهم .

رد عليها الجار بكل أسى قائلاً :

- يا ريتني ما اتزفت ولا اتجوزت خالص من أصله ...أروح أتهدل وأجيب انتنين.

حزنت عفاف لحزنه ولكنها لا تستطيع فعل شيء وعندما احتدم الأمر ولم تغلح محاولات الجيران في فض اشتباك المرأتين إنهال

الزوج عليهما ضرباً وقام بطردهم خارج الشقة والأطفال تبيكي
لهذا المشهد المروع ملحقة بأهمهم.

قام الجيران بتهدة الرجل وادخاله شقته بينما هبطت نساءه لأسفل
مع أحد الجارات وعندما خلى الزوج بنفسه ظل يبكي بشدة حتى
جفت الدموع ولما هدأ وضعه خرج من شقته وطرق باب جاراته
الست أم عفاف وطلب منها الإذن بالدخول فسمحت له .

نهضت عفاف لصنع كوب من الشاي لعله يهدأ من روع الرجل
ويستعيد نفسه مرة ثانية .

أطرق الرجل برأسه لأسفل ووجهه يكتسي بالأسى فساعده أم
عفاف على الحديث فقالت له :

- بقولك أية يا سيد أنت زي ابني وأنا اللي مربياك من وأنت

صغير .. انت غلطت لما اتجوزت البت الثانية دي الكل

حذرك منها وقال لك دي ما لهاش في العيشة وأنت مشيت

وراها وحصل اللي حصل

رد عليها برفق وقال :

- يا أم عفاف الكلام دة ما منهوش فايده هي بقت مراتي
وخلص وهي حامل دلوقتي وما أقدر شي أطلقها .

صمتت قليلاً ثم استجمعت شجاعتها وقالت له :

- وايش ضمنك إن هو ابنك

جن جنونه عندما وصل لسمعه تلك الكلمات فهب واقفاً والشرر
يتطاير من عينيه وبأعلى صوته قال لها :

- أنت بتقولي أية....أنتي أكيد جرى في عقلك حاجة ...أنت
اتجننتي

خرجت عفاف من المطبخ عند سماعها له وردت عليه : جن لما
يلخبطك ... بقى يا راجل يا عايب يا جوز الاتنين أنت مش عارف
مشي مراتك ..دي الحنة كلها بتتكلم ... على آخر الزمن هتعيب
الست اللي ربك وعاملتك زي ابنها.... خسارة فيك الشاي قوم
اطلع برة .. برة .. غور في داهية أنت حر معاهم .

هدأت أمها من روعها وأمرتها أن تجلس دون أن تتنطق بكلمة
أخرى وأردفت تقول :

- كفاية اللي هو فيه وكمان إحنا غلطانين إننا ما قلناش له
على البت دي ومشيتها البطال كنا فاكلرنا هتعقل بعد
الجواز بس طلعت واطية بنت كلب.

رجع سيد للخلف على مقعده لا يصدق ما يسمعه إن الجميع
يعرفون إلا هو لا يدري بشيء فكثرت المشكلات أعمته عن متابعة
زوجاته ومطالعة أخبارهن.

إنه الآن مكبل اليدين لا يقوى على الحركة وشل تفكيره ...

ماذا سيفعل؟

هل يقتلها وينتقم لشرفه المدنس؟

أم يتركها ترحل بكل بساطة

وسط موجة التفكير التي اجتاحتها أمسكت أم عفاف بيده وقالت :

- يا ابني فوق لنفسك سيبك منها وخليها تروح لحالها والتفت
بقى للغلبانه اللي شايلاك طول عمرها وما اشتكتشي يوم
منك كل خناقها مع الثانية علشانك أنت

شوف كوم اللحم اللي أنت مخلفه وداري على أمورك كفاية فضايح
لحد كدة .

سكت سيد طويلاً وبعد مرور ساعة قام من مكانه واتجه ناحية
الباب وخرج إلى شقته وهو عاقد العزم على تطليق زوجته الثانية
وعدم إنساب الجنين له مع رفع دعوة قضائية بخيانة زوجته له

"الساحر"

ازدحم الشارع بالمارة وأتى الناس من كل حدب وصوب لرؤيته
ذلك المشهد العجيب .

فقد خرج أحد ساكني الحي المعروف عنه الدجل والشعوذة وقام
بإحضار قالبين من الطوب الأحمر ثم رفعهما بالهواء أمام الجميع
وعندما قام بضربها معا سال الدم يملأ الشارع كله وسط ذهول
أهالي الحي . بعضهم انسل ليخرج وسط تمتته آيات من القرآن
واستغفاره لما شاهد للتو والبعض الآخر تلى بعض كلمات من
الإنجيل مستعيناً بيسوع لنجدته أما البقية فوقفت تتأمل المشهد حتى
اختفي الدم من المكان أمام أعينهم .

دخل الرجل بيته مرة أخرى تاركاً الحيرة على الوجوه والخوف
منه لما قد يحدث فيما بعد .

بعض جيرانه يقول أنه حينما تلصص عليه وجده يرتدي في قدمه
رغيفين من الخبز بدلاً من الحذاء والبعض يطلق الشائعات ويقسم
أنه رآه يستخدم اللبن في غسل جسمه بدلاً من الماء .

الكل يتكهن بأمره .

يخشاه الجميع .

حتى شيوخ المساجد الذين يحفظون القرآن ويعلمون الناس أمور دينهم .

حينما تريد فتاة أن تتزوج ولم يتقدم لخطبتها أحد تذهب أمها مسرعة له لتقديم الولاء والطاعة وتعرض عليه الأموال لكن الغريب في الأمر أنه لا يأخذ أموالاً من أحد يكتفي فقط بالمساعدة دونما أموال.

ذات مرة أبلغ عنه أحد جيرانه قسم الشرطة بسبب أعماله الغريبة أمام المارة فتم إلقاء القبض عليه وأثناء التحقيق معه لم يبادر بفعل أي شيء ودافع عن نفسه بقوله أنه منح قوة خارقة للعادة ولد بها لم يصدقه أحد وتم إلقائه بزنزانة مع عدد من المساجين .

وفي الصباح سمع الضابط الهياج والصراخ من المساجين فنهضوا جميعاً لمعرفة سبب الفوضى فوجدوا ملابس المساجين مقطعة وتكتسي وجوههم بالدم فقام الحارس بفتح الباب فهرول الجميع للخارج إلا الساحر وجدوه واقفاً وسط الغرفة ويلتف حول نفسه بسرعة رهيبة وأعلى رأسه حية كبيرة تلف معه أينما اتجه تنتظر باتجاههم تريد أن تنهش وجوههم لكن الساحر نظر إليها ومنعها .

بهت الجميع من المشهد العجيب وانطلقت كلمات الاستغفار
والآيات من أفواههم فعاد الرجل كما كان واختفت الحية في الحال

أفرج الضابط عن الساحر بضمان إقامته تجنباً لسخطه وللحفاظ
على هيبة الحبس وتعامله مع المساجين .

إن مثل هؤلاء لا يقترب منهم أحد حتى لا يحترق بمعرفته أو الظن
به.

أينما تفكر به لا تسلم منه حتى لو بالخير .

عندما خرج الساحر اتجه إلى جاره الذي أوقع به ونظر في عينه
مبتسماً وقال له :

- لو أنت مش جاري من زمان كنت خليتك تحفر قبرك
بنفسك وتدفن نفسك فيه...بس هكتفي بإن أجنن لك بنتك
الكبيرة وابقى دور لها على علاج .

ركع الجار امام الساحر وقبل قدميه راجياً إياه أن يسامحه على
فعلته وألا يمس أحد من أهله بسوء وظل هكذا حتى احتشد الناس

مرة ثانية للوصول إلى أسباب حدوث هذا المشهد فلملم الساحر
ملابسه واتجه إلى بيته معلناً الصفح عن جاره.

أما ضابط الشرطة فعندما عاد إلى بيته وجد زوجته تعض في
أرضيه البيت وشعرها المتطاير جعل من وجهها مسخا والأهل
حولها لا يعرفون ما سبب جنونها المفاجئ ، جلس الضابط في
وضع القرفصاء وأخذ يمسح على رأس زوجته براحة يده فنظرت
إليه وأمسكت يده وعندما لمست منه الارتياح قامت بعضة بكل
قوتها حتى كادت أسنانها تمزق يده فأسرع الموجودون بمساعدته
حتى تركته وهي تضحك بطريقة هستيرية.

تذكر الساحر وأفعاله وكلمته التي قالها عند خروجه :

" خلي بالك على مراتك "

وضع يده على رأسه وارتقى على مقعد بالصالة وسمع ما يدور
بالداخل مع والد زوجته

والطبيب فقد قرر تحويلها لمستشفى الأمراض العقلية لبدء جولة
جديدة من العلاج تمكنها من الرجوع لعقلها ذات يوم .

كيف السبيل للخروج من الأزمة الخطيرة التي يلوم نفسه عليها.
إنه يحمل نفسه ذنب ما يحدث لزوجته الآن ... فما ذنبها .. إنها لم
تقترب أي جرم تحاسب عليه ، إن الساحر يريد عقابه بطريقة تشل
تفكيره ..

فلكي يسيطر على حياته ثانية لابد من الذهاب للساحر وتقديم
الولاء له وطلب الصفح عن زوجته وإعادتها مرة أخرى لكن
بذلك سينتشر الخبر ويعلو نجم الدجال ولن يستطيع أحد بعد ذلك
ردعه.

قرر الضابط عدم الذهاب إلى الدجال وليصبر إن الله قريب من
عباده...

مر عامان منذ تلك الفاجعة إلى أن دق باب مكتب الضابط فدخل
الشاويش لإلقاء خبر على مسامعه " لقد توفي الساحر "

وقف الضابط فرحا بهذا الخبر ، سوف يخرج للتأكد ومطالعة
الأخبار بنفسه . واستقل السيارة ذاهبا إلى الحي الذي يسكن فيه
الساحر

وعندما وصل اندهش من المنظر.. الجميع يهلل ويهنا بعضه
بعضا الناس تزغرد وترقص في الشارع اطمأن الضابط
للخبر وتأكد لديه فهبط من سيارته ليستفسر من أهل الحي .

قال أحدهم إنه توفي منذ يومين ولكن لا أحد يجراً على دخول بيته
، كما أنهم مرعوبين ولن يشيع جنازته أحد

اتصل الضابط بالقسم للتبليغ عن الحدث واستدعاء سيارة إسعاف
لتنقله إلى مكان الغسل حتى يكفن ويتم دفنه .

وصلت سيارة الإسعاف المكان ومرت بصعوبة وسط الحشد إلى
أن وصلت لبيت الساحر وصعدوا السلم لدخول البيت وإحضاره
وعندما نظروا إليه وجدوه مشوها أثر حريق اندلع فالتصقت النار
بجسده فبدى كأنما وضع داخل محرقة ولم يجيره أحد....

حملوه وهبطوا به وفرقوا الناس بصعوبة محاولين الوصول
لسيارة الإسعاف احتواء للوضع وإنهاء للفوضى العارمة .

هتف الأهالي .. الله أكبر... الله أكبر... انتقم يا منتقم ... انتقم يا منتقم
.... الله أكبر.....

"الفرصة الضائعة"

بعد حب دام الأربع سنوات ترك حبيبته وسافر إلى أمريكا واعداد
إياها بالعودة والزواج .

لم تصدقه أبعد كل تلك السنوات يسافر وحده دون أن يتزوجها أو
حتى يأتي لخطبتها يا لها من ساذجة ... لقد قضت كل هذه
السنوات برفقته وأمام أصدقائه دون أن تعباً برأي أحد ... حتى
مشاجرات أمها معها لم تفلح في إبعادها عنه .

صدق حدس أمها ؛ فقد هرب منها لأول فرصة له بعيد عنها يبحث
عن مجده .. لعله يشارك في نجاحه إحدى نساء الغرب الأمريكي
ذات الشعر الأصفر والعيون الخضراء والقوام الممشوق .

إن أفضل شيء فعلته على الإطلاق هو الحفاظ على عذريتها معه
رغم محاولاته المتكررة معها وبوعوده الفارغة ... استطاعت أن
تكبت جماحها بداخلها مكتفية بالتقرب منه واختلاس قبلة في
الظلام حين تخفت أضواء الشوارع .

مكنت بالبيت ولم تحاول الخروج فبعد سفره انقطعت أخباره عنها
، حاولت الوصول إلى رقم هاتف له للاطمئنان عليه دونما فائدة .

فقد اكتشفت من أحد أصدقائه أنه قبل سفره بأيام قليلة أفصح لهم
عن نيته وأخبرهم أنها بالنسبة له مرحلة وقد مرت من حياته ،

ينتظره الأفضل المال ... الغنى النساء الجميلات .. يا
لحقارته ودناؤه إنه من أنصاف الرجال وشدد عليهم عدم إعطائها
أي معلومات عنه .

تقدم لخطبتها أكثر من رجل لكنها أبت أن تكون لغيره كم كانت
وفية له .. تسهر الليل لتستعيد ذكرياتها بصحبته لكنها غفلت عن
حقيقته فوقعت في شباك الصياد والتصقت بغزل شبكته المحكمة
الصنع .

لن تستطيع الهروب مرة أخرى إلا إذا أنقذها شخص آخر .. ومن
أين يأتي لنجدتها والجميع يعلم أنها كانت له ... تتلقى اللوم من
داخلها ويزايد الشك بأن هناك شيء تجهله وتحاول الوصول إليه .

بعد تفكير طويل قررت الذهاب إلى "محسن" صديق حبيبها
لتتقصى أخباره فهو الأقرب إليه ويعرف قصتها كاملة ولعله
الوحيد الذي يعرف أنها لازالت عذراء . نهضت من نومها مبكراً
على غير عادة وارتدت ملابسها ثم خرجت لتحقيق هدفها ولم تعر
أماها اهتماماً وهي تمنعها من الذهاب لصديقه .

سارت من شارع إلى غيره ، تعبر حارات وأزقة حتى وصلت إلى
سكن صديق حبيبها وصعدت إليه ولما أن وصلت إلى شقته

انتظرت قليلاً ثم استجمعت شجاعتها وضغطت بيدها على جرس الباب .. بعد مرور برهة من الوقت فتح " محسن " الباب وهو يفرك عينيه لإزاله النعاس عنها وفتحها بصعوبة ليجدها أمامه .

ارتبك عند رؤيتها فهو يعيش بمفرده ولا يستطيع إدخالها فألقت عليه التحية فرد عليها وطلبت التحدث معه قليلاً فاضطر لإدخالها لمعرفة سبب الزيارة المباغته له .

بدأت حديثها معه قائلة:

- أنا متأسفة يا محسن بس بجد مش قادرة خلاص دماغي من كتر التفكير في أحمد هتشت .. قولي هو عامل أية ... أنا مش قادرة أنساه أنت أكثر واحد هتس بي لأنك كنت عارف كل حاجة .

وأجهشت بالبكاء أمام محسن فرق لحالها وأخبرها بكل جديد أطلعته عليه أحمد في اتصالاته به مواسياً إياها بعدم النظر لما مر من عمرها فأمامها العمر الآتي قد تسعد به وأفهمها أن أحمد لن يعود مرة أخرى عندما يتزوج من أمريكية ويحصل على الجنسية ليستطيع التحرك والعمل بسهولة .

رغم صدق حديثه كذوبته تمنى نفسها وروحها بعودته مرة أخرى
ليلتئم الجرح ويجمع الشمل مرة أخرى .

أظهر محسن تعاطفه معها وأقبل يمسح دموعها فصديقه لا يستحق
تلك الدموع الغالية منها.

ولما شعرت ببيديه تجفف دموعها نظرت إليه وأذرفت المزيد
وارتمت في أحضانه لأول مرة بعد سفر حبيبها

أحس برعشه اجتاحت كيانه وأمسك بأسفل ذقنها ونظر في عينيها
وقام بتقبيلها ولغرابه الموقف لم تمنعه بل استسلمت له .

أفاق محسن على صوت أقدام تهبط لأسفل فنحاهما برفق قائلاً لها :

- أنا بحبك يا فاطمة من زمان وأحمد ما يستاهلكيش تقبلي
تتجوزيني .

كان وقع هذه الكلمات عليها كالصاعقة فقامت وعدلت من هياتها
وخرجت من عنده مسرعة تحاول تفسير ما حدث منذ قليل وأخذت
تمشي بخطوات مسرعة عائدة إلى بيتها ووجدت أمها في انتظارها
ولكنها دخلت غرفتها وأغلقت عليها الباب حتى لا تتكلم مع أحد .

أخذت الليل بطوله لاستيعاب الأمر حتى هدها التعب فأغلقت عينيها وراحت في سبات عميق .

استيقظت وقت الظهيرة على صوت يتحدث بالخارج تعرفه فنهضت للخروج فوجدت محسن يسأل عن حالها وعندما رآها اعتدل واقفاً ليسلم عليها فبادرته بسؤال :

- أنت جاي تعمل أية هنا

تعجبت والدتها ونهرتها معتذرة لمحسن عما بدى من ابنتها ولكنها كررت السؤال مرة أخرى تنتظر إجابته عليها فرد بهدوء عليها :

- أنا جاي أطلب ايدك من الحاجة

فنظرت إليه وأجابت بالموافقة على طلبه ثم استدارت لدخول غرفتها .

لم يصدق محسن ما حدث للتو كما لم تصدق والدتها أيضاً وانفجرت أساريره واتفق مع والدتها على حضور أهله لإتمام ما جاء لأجله .

أصبحت فاطمة الآن تخرج من جديد مع خطيبها وزوجها المستقبلي حتى تعافت من حبها القديم وبدأت ترتيبات الزفاف

ومحسن ينتظر هذا اليوم كما تنتظره فاطمة التي شغفت بحبه مع معرفتها به وبصفاته فهو يغار عليها ... لا يخرج معها ليلاً وإنما في وضح النهار أمام الجميع يفتخر بحبه لها كما أنه لا يبخل عليها بالمال .

كان الزفاف رائعاً ومضى عليه أكثر من شهرين وهي الآن تحمل بابه والسعادة تغمر الجميع .

ذات مساء دق جرس الباب فقامت فاطمة لفتح الباب فوجدت أحمد يقف أمامها ممسكاً بحقيبة سفره ، لم يصدق ما يراه فنظر إليها وجدها تحمل طفلاً صغيراً وأصبحت أجمل من ذي قبل ؛ فخرج محسن ورأى صديقه فرحب به وقدم له فاطمة زوجته وأم ولده الصغير وطلب منها أن تصنع فنجاناً من القهوة لأحمد بينما جلس أحمد يقص عليه ترحيله من أمريكا ومحاولة قتله وأنه يحمد الله على عودته سليماً وهو يسرق النظرات العابرة لرؤية فاطمة بعد تلك المدة في بيت أقرب أصدقائه إليه .

"شجرة الحياة"

نظر عبد الرحيم إلى شجرة " النبق " التي تتوسط الحقول وتأخذ مساحة لا بأس بها من حقله وهو يفكر في حل لقطع هذه الشجرة حتى يمنع الأولاد من اللعب عليها وتدمير حقله والعيب بزراعته .

إن جيرانه لن يوافقوا على التخلص من الشجرة فهي لديهم بمثابة الشجرة المباركة من يحتاج إلى عون في أمور حياته يدعو الله بالقرب منها والتمسح بها ويا فرحته من يجد ثمارها فيقطفها ويأكل منها...سيتحقق أي شيء يدور برأسك .

إن عبد الرحيم لا يؤمن بذلك فالشجرة بأرضه ومع ذلك تغرق الأرض بمحصولها.... يمرض أولاده كثيراً ... كاد طفل له أن يغرق في ترعة الري ، لم يحصل منها على بركات في معيشتة لذلك قرر التخلص منها واستغلال مكانها في زرع باقي الأرض .

لا بد من تدبير الأمر أولاً وأخذ الحيطة ؛ فلو علم أحد من الناس ستكون فضيحة ولن يغفر له عملته . قرر أن يستهل عمله في منتصف الليل ؛ فالجميع ينتظر آذان العشاء لقضاء الفريضة ثم يتجهوا للبحث عن الأسرة لتحمل عبء عملهم الشاق فيأخذوا قسطاً وفيراً من الراحة حتى مطلع فجر اليوم التالي .

لن يراه أحد حتى ينهي ما قرر فعله .

خرج من بيته يحمل فأسه ووضعها على كتفه ، يلتفت يمينا ويسارا
لمراقبة الطريق حتى يصل إلى أرضه .

حينما وصل إلى الشجرة وأصبحت أمامه ألقى عليها النظرة
الأخيرة قبل الشروع في قطعها ولكنه عندما رفع فأسه وهوى بها
على الشجرة حدث ما لم يراه في حياته ؛ فقد خرج من أسفلها
مجموعة كبيرة من الأرناب ناصعة البياض يكاد بياضها يخطف
بالأبصار التي تقع عليها .

جرت نحو قدميه ثم اختفت في الظلام ...

كلما هوى بفأسه ناحية الشجرة تهرول الأرناب ناحيته ثم لم تلبس
أن تختفي مرة أخرى .

وقف يتلجلج في ملابسه لما شاهده ، إنها حقاً شجرة مباركة وقد
حدث أمامه ما لن ينساه طوال حياته .

تحجرت قدماه في الأرض لم يقو على الحركة فبرز له ديكا شق
صياحه سكون الليل المنتشر حوله .

فأطلق ساقيه لعنان الريح حتى وصل إلى بيته وهو يشهق وترتعش
أوصاله ففتح بابه وأغلقه مسرعاً لإخبار زوجته بما حدث .

استفاقت الزوجة على صوت عبد الرحيم وهو يهز جسدها
لتغادرها الغفلة وقال لها : قومي يا سعدية الله يخرب بيتك نائمة
بتشخري... قومي شوفي اللي جرى لي..

تنبهت سعدية لزوجها وردت عليه :

- ما لك يا راجل حصل أية... حد من العيال جرى له حاجة..

نفي لها ظنها السيئ بالأولاد ، وقص عليها ما حدث عند الأرض
ومشهد الأرانب والديك الصياح كل هذا في الليل من أين جاءوا
...والى أين ذهبوا إن الأمر صحيح إذا .

الشجرة لا تستطيع أي قوة اجتنائها كما حكى الأجداد لهم ولغيرهم

...

علقت سعدية على كلامه قائلة :

- ما كل الناس بتقول ما حدش يفكر إنه يقلعها وأنت شوفت

بعينك وربنا يستر ويعيدها على خير . بتروح نحيثها لية

- آه بس اللي اتكلم غير اللي شاف دا أنا ما استحملتش جيت

جري

- بقول لك أية الحمد لله إنها جات على أد كدة نام لك شوية
واهدى للصبح على ما نقوم نشوف حاجة حصلت تاني
ولا لاة .

- هو أنا هيجيلي نوم بعد اللي شوفته ربنا يستر مش فاكرة
السنة اللي فاتت لما كسرت عرف الشجرة اللي كان
مداري على الزرع

- يومها المية غرقت الأرض مع إن الأرض كانت لسة ما
كملتشي ومرة واحدة المية جات من أين الله أعلم .

- شوفي أنتي بقى المرة دي هيحصل أية لما روحت أقطع
الشجرة بحالها .

ظل عبد الرحيم يفكر في المصيبة التي ستقع له في الصباح بسبب
فعلته ويدعو الله لرفع البلاء

عنه حيث أراد بقطع الشجرة الحفاظ على زراعته ومحاصيله
المهدرة بسبب كبر حجم الشجرة وتفرعاتها الممتدة بعرض أرضه
. إنه لا يريد قطعها لمجرد إرضاء رغبته في ذلك .

كما أن الأطفال يمرحون بأرضه بالقرب من الشجرة ويفسدون
المحصول ولا يخرج ما يكفي قوته وقوت أولاده لباقي العام .

حاول أكثر من مرة بيع أرضه ولكن لم يتقدم أحد لشرائها لوجود
الشجرة بها وقطعا يمنع مسها ..

حاول أن يستريح ويأتي بالنوم لكن شيئاً منعه فنهض من فراشه
وخرج يطمئن على أولاده فوجدهم بخير ففتح باب بيته ليتأمل
الشجرة من بعيد على الضوء الخافت ليراها تبسط فروعها كأنها
ترحب بمن يأتي إليها مبتسمة للطبيعة شاكرة ربها على حمايتها
من غدر السنين .

" الدرويش "

خرج من المسجد على غير العادة متجهاً إلى مكانه المنعزل عن العامة لمتابعة تأملاته اليومية التي لا تنتهي . لقد تعود أن يطمئن على والدته من وقت لآخر في اليوم الواحد قبل انعزاله وتعبده المستمر ولكنه لم يفعل هذا الأمر في ذلك اليوم وعندما انتهت الصلاة لم يسلم على أحد وهب مسرعاً لمغادرة المسجد ؛ فتعجب الجميع للأمر إنه لم يفعل شيء مماثل لهذا سابقاً لعل في الأمر شيء .

واتفق الجميع في نهاية النقاش أنه غريب الأطوار وأفعاله مخالفة للعادة فلا داع لأخذ الأمر بالجدية .

إنه يسبح في ملكوت الله لا يشعر بالآلام قدمه ولا تورمها من كثرة سيره حتى في بعض الأحيان لا يشعر بالدم المتدفق من قدمه إلا حينما ينظر إليه أحد في الطريق فيسترعاه الانتباه لحالته وحالة قدمه الملطخة بالدماء .

لا يجزع ولا يهتز قيد أنملة فالحياة لا تعنيه كثيراً .

أما والدته وإخوته فقد يأسوا من محاولاتهم المتكررة معه لجعله إنساناً طبيعياً كغيره . فهو دائم الشرود لا يأكل إلا القليل وذلك أثره واضحاً على نحاله جسده وبروز عروق دمه وجحوظ عيناه.

يمسك دائماً بسبحته الطويلة والتي يضعها في عنقه تجنباً
لضياعها منه؛ فقد حدث ذات مرة وغفى بركن من أركان المسجد
بعد صلاة الظهر وكانت سبحته معلقة كعادتها بعنقه فقام أحد
الأطفال بسرقتها منه وخرج مسرعاً قبل أن يراه أحد. وعندما
استفاق ولم يجدها معه قامت الدنيا وكان كالممسوس المجنون
يتخبط بسيره ويطلق كلاماً غير مفهوم حتى وجدها الناس
وأعادوها إليه .

الجميع لا يخشاه بل يتبركون به ودائماً ما يفرحون إذا ما طلب
تناول طعام من بيت أحدهم .. اكتفوا بإطلاق لقب درويش عليه
متناسين اسمه الحقيقي .. فقط درويش معبرة عن أفعاله وعزلته
والطلاسـم التي ينطق بها .

أما اليوم الذي خرج فيه مسرعاً فله أثر كبير داخل كل نفوس من
رآه يتحرك على الأرض يوماً .

فقد ذهب للجلوس على التلة التي اعتاد التواجد بها ينادي أشياء
وأشخاص لا يراهم أحد سواه يتلو آيات قرآنية ويستغفر الله ثم
يتلو أشياء غير مفهومة وبعدها يبكي بشدة حتى غروب الشمس

ولولا رؤية الناس له يسجد ويسبح بالطريقة التي يعرفوها لقالوا
عنه ملموس من الجان

قد تنتابه نوبة فجائية فيغشى عليه لفترة تقرب الربع من الساعة
وعندما يفيق يجد حشد من الناس يتحوطه فيبتسم لهم ويدعو الله
ليكفر عنهم سيئاتهم فيهبطوا ويتركوه لوحده من جديد .
إن مثل هذه الأفعال اعتادوا عليها منه.....

لكن في أيامه الأخيرة زادت نوباته وزاد انفراده بنفسه والكل
يخشى وقوع مصيبة له .

إنه يتقرب إلى الله بطريقته التي اختارها لنفسه ، يشكو ألمه
ويتضرع للعفو منه وحده فيرى النور في ظلمة الليل ويشعر
بالفرج وسط الضيق لا يوقفه شيء يخيل إليه أنه يرى ملاكاً يسمع
منه كل مكنونه دون أن ينطق بشيء فيسعد بذلك يتوسل لخيال
ملاكه المزعوم حتى لا يغادره فيؤنس به .

ولما لم يطق بعد ملاكه عنه وضاق ذرعه وقف على التلة يصرخ
وينادي عليه ، والناس تتعجب وتقول سبحان الله أهذا إنسان
طبيعي

لعله يرى ما لم نستطيع رؤيته ... إن العقل إذا أدرك المزيد عن حاجته هلك ... وهلك صاحبه معه .

الدرويش ينادي ويصرخ معلناً احتجاجه على اختفاء ملاكه ...
وأخيراً وفر طاقته وصوته الذي سكن من كثره توسلاته وقرر أن يلحق بالملاك هذه المرة فكل المرات السابقة كان يبتسم له عند صعوده إلى السماء لكن هذه المرة لم يعره اهتماماً ولم يلتفت إليه ... لذلك سيلحق به ...

وعندما هم باللاحاق بملاكه سقط من أعلى التلة إلى الأرض المتحجرة بالأسفل وعندها أسلم الروح لبارئه .

احتشد الناس لمحاولة انقاذه ولكن دون جدوى فقد رحل عن هذه الدنيا مخلفاً وراءه ذكرى لن ينساه أحد عايش وشاهد هذا الدرويش.

" العين بالعين "

نظرت الجارة "أم علي" لجارتها "عواطف" باستحقار شديد
فمنذ زواج ابنتها "عايدة" وسفرها إلى الخارج مع زوجها وهي
تشعر بالغبطة ونشوة الانتصار تملأ صدرها فبنات عواطف قد
تجاوزوا السابعة والعشرين من عمرهم ولم يتزوجوا بعد وبناتها
هي قد تزوجوا وسافروا مع أزواجهم وبدأت تستقر حياتهم ولذلك
فكثيراً ما تلمح في حديثها عن رغد العيش الذي أصاب بناتها وعن
غنى أزواجهن وهي تقصد إغاطة جارتها بذلك فخورة بجمال
بناتها الذي جذب إليهن الزواج .

كانت وقتها عواطف تستمع إليها كاتمة غيظها تحاول موازنة
نفسها بالصبر فالله لا ينسى أحد

وكانت تكثر الدعاء لبناتها أن يرزقهن الله أفضل الأزواج حتى
تتخلص من معايرة أم علي لها .

في إحدى الأيام تناولت أم علي على جارتها بالكلام وقالت لها :
لن تتزوج بنت لكي ما دامت لها أم مثلك ... ولن تحصل إحداهن
على فرصة السفر مثل بناتيسوف يعيشن أبد الدهر بلا زواج
...

احتسبت عواطف عدم ردها عند الله وقد امتلأت عينيها بالدموع.

منذ فترة طويلة لم يتقدم أحد لطلب ابنه من بناتها الأربعة وهن لا يعبان لذلك ما دمن لم يجدن الزوج المناسب .

إن بناتها لعلى خلق وافر وسجايا قويمة يفتخر بها أي إنسان لكونهن بناته تخرجن جميعاً من الجامعة بتفوق ويعملن في مجالات مختلفة من الهندسة والصيدلة وصولاً إلى التدريس والصحافة

مثال رائع للصبر وأداء الأعمال بكل اتقان وتقان .

لكن عدم حصولهن على قسط وفير من الجمال حجب عنهم الارتباط بالشخص المناسب لهن على خلاف بنات أم علي فقد وجدن مبتغاهن رغم عدم حصولهن علي شهادات جامعية واكتفين بالتعليم المتوسط .

من الراجح وجود مثل هذه الأنواع التي تهتم بالظاهر والشكل الجمالي للأنثى في مجتمعات كثيرة فهي لا تساوي شيء في نظر من يرتبط بها سوى مستقبله جيدة لرغباته وشهواته ثم أم لأولاده وسيدة منزل من الدرجة الأولى أما عقليتها فتلك قصة أخرى لا يحبذها أحد مطلقاً لأنه ببساطة شديدة لا يريد الزوج بنفسه في براثن النقاشات والحوارات الغير منتهية وقلما يصل إلى مبتغاه .

فيفضل الفتاة العادية على غيرها من الواعيات .

لكن عواطف كأم لأربع فتيات وبتفكير الأجداد القديم تريد أن
تطمئن عليهن مع أزواجهن قبل موتها فكل شاغلها في الحياة
تلك الفكرة .

فماذا تفعل لمساعدة بناتها وكيف يتسنى لها الإختيار المناسب
لهن

في إحدى الأيام دقت إحدى الجارات باب الست "عواطف
"للتحدث معها بشأن شخص يريد التقدم لطلب الزواج من إحدى
بناتها وأخبرتها أنه يريد رؤيتها والزواج منها في غضون شهر
لأنه يعمل بروسيا ولديه أعمال لا يستطيع إلغائها ... فوافقت
عواطف على أن يأتي لمنزلها وعرضت الأمر على بناتها فلم
توافق إلا الكبرى حقنا للخناقات والخلافات الدائرة بينهن جميعاً
وبين أمها "عواطف " .

جاء الليل فأقبل الخطيب بمفرده ومعه باقة من الزهور الحمراء تنم
عن ذوق عال مرتدياً بذته الأنيقة السوداء ودق جرس الباب يعلن
عن وصوله

فتحت الست "عواطف" باب بيتها ليرحب بضيف جديد عليه
وهي تدعو الله أن ينال استحسان ابنتها .

أجلسته بالغرفة المخصصة للضيوف وبدأت تتحدث معه عن
أسرته وعمله وسفره إلى الخارج حتى علمت منه كل شيء فنادت
على ابنتها الكبرى آلاء لتسلم على الضيف وتتعرف عليه وقامت
تعد له مشروباً لتركهما معا حتى يأنس كل منهما للآخر ويزيل
حاجز الخوف والقلق منهما .

تحدثت آلاء عن أسرتها وأخواتها وأخبرته أنها تعمل في مجال
الصيدلة وأعجب بها وبشخصيتها فهو أدرى الناس بالحديث
بصدقه وكذبه كونه رجل أعمال متمرس ويختلط بالعديد من البشر
ويستطيع مقياس مدى دافعيتهم بنظرة متفحصة منه .

أخبرته أن مدة شهر ليست كافية للتعارف وأنها غير متعجلة
ويمكن تأجيل الأمر حتى عودته مرة ثانية لكنه حاول إقناعها
بأن مقابلاتهم وزياراته ستكشف عن معدنه الأصلي لها ولكونها
ناضجة وواعية تستطيع اتخاذ القرار المناسب لحياتها . أقنعا
كلامه فوافقت عليه واتفقا على المزيد من الزيارات اليومية بعد
أخذ موافقة والدتها فرحبت بذلك . وقبل انصرافه تناول يدها وطبع

عليها بقبلة رقيقة اهتز لها وجدانها وبرقت عيناها لأول مرة في حياتها وانصرف خارجاً من المنزل .

اطمأن قلب الأم لذلك الرجل وقد لاحظت ارتياح ابنتها آلاء له ففرحت بذلك أيضاً ودعت الله أن يتم الأمر لابنتها على خير .

مرت الأيام وآلاء تجلس مع خطيبها الجديد "جمال" يتناقشون في بعض الأمور وكل منهما يزداد تمسكه بالآخر ويعجب بشخصيته إلى أن تم تحديد موعد الزفاف قبل السفر لروسيا فدعت الست "عواطف" جيرانها ودعت أم علي أيضاً متناسية ما فعلته معها وإعلاء للجيرة التي جمعتهم أعوام عدة .. كما دعت الفتيات زملائهن لحضور هذه المناسبة وحضر أصدقاء "جمال" الحفل فأعجب أحدهم ويعمل طبيباً بإحدى أخواتها وتحدث معها وطلب من صديقه جمال مساعدته في نيل الاستحسان ومقابلة والدتها ذات يوم .

وسط الجمع الملتف حول مجلس العروسين لاحظت الست عواطف عبوس وجه أم علي فاتجهت نحوها لإزالة البغض والكراهية بينهما وعندما اقتربت منها لتربت على كتفها أجهشت أم علي بالبكاء فاحتضنتها عواطف وأخذتها إلى ركن بعيد عن

الأعين فقالت لها أم علي سامحيني يا عواطف فقد آذيتك كثيراً
ولكنك لم تعامليني بمعاملتي لكي ولقد انتقم الله مني فقد طلقت
ابنتي هند وستصل غداً من الخارج بمفردها بعد اكتشافها علاقات
زوجها المشبوهة بإحدى السيدات المجاورة لها بالسكن وقد كان
يتستر زوجها بالخيانة تحت لقب الزواج ولما علمت بأمره
وواجهته ما كان منه إلا ان قام بضربها وطلقها على الفور وحجز
لها تذكرة العودة

انهمرت الدموع من عين عواطف حزناً على جارتها وقامت
بتقبيل رأسها ومسحت على وجهها مواعدة إياها بحل تلك المعضلة
بعد انتهاء الزفاف وبعد أن كانت أم علي تسخر من جارتها طلبت
منها الصفح والبدء من جديد كما كانوا منذ عدة سنوات مضت .

.....

" کان "

نظر إلى الأمواج الهائجة وهو مستلقي على ظهره على رمال
البحر بالشاطئ الذي يفضلهُ . فليست كل الشواطئ واحدة ؛ فكل
منها ذكرياته التي تشارك قلب صاحبها وتسيطر على وجدانه، كما
أن لديه ذكرى مع ذلك المكان لا يفارق ذاكرته.

كانت إحدى الليالي الهادئة التي يستمتع بها مع حبيبته بجمال
المكان عندما ظهر القمر بدرا في عنان السماء ، يهمس للنجوم
البعيدة تتطلع للحبيبين كما يتجسس عليهما البحر بأسمائه ولآله
النفيسة .

نظر إلي عيون حبيبته العسلية اللون يطرها بأعذب الكلمات
مستقيضا في ذكر حسننها ، وقوامها ، شاكرا الظروف التي جمعت
بينهما في يوم ما مر منذ سنوات .

إنها حبه الأبدي الذي حصل عليه بعد طول انتظار ... لولاك أيها
القدر لما ذهب لما بعدت عني مرة أخرى آه ... لقد كانت
أمامي الآن أقسم أنني رأيته وسط الأمواج تلوح لي كما كانت
تفعل دائما ثم ... انتظري ... لقد رحلت .

إن الأوهام تسيطر عليه لفقدانها لا يتحمل مشاق بعادها ... كما لو
أنه كسر للأبد وتحطم فؤاده .

لولا عنادها المعهود لبقيت معي للأبد ، حينما أصرت على نزول
البحر في تلك الساعة المتأخرة ، كانت الساعة تقارب العاشرة ليلاً
، ولا أحد معنانحن الاثنان فقط والموج .

قامت بإزاحة ملابسها ؛ فكتفت عن ساقين من المرمر يخجل
لرؤيتهما الوجود بكل ما فيه . وبدأت في مغازلة البحر بروحها
ولم تهتم بتوسلاتي لها بعدم الاقتراب منه ، حاولت منعها مراراً
لكنها أثبت إلا أن تجرب طعم سقيع الموج في تلك الليلة على
جسدها . لم أتحمل أكثر من ذلك فرافقتها رغماً عنها ولرغبتني في
حمايتها لكن الأمواج أوشت بها للبحر ؛ فلم يتحمل نقاءها
وجمالها هو الآخر ، فخطفها مني ... رافضاً إعادتها مرة أخرى .
أستمع لهمساته وهو يردد فلتكن هي حوريتي المفضلة والمتوجة
فوق كل الحوريات .

لقد هزمني ذلك البحر الواسع الذي أنظر إليه وأنا على مقربة منه
الآن أخذ غاليتي ... يا حبيبتني وعشقي الأبدى فلنظهري لي
ولو مرة واحدة قبل هلاكي بفقدانك . لعلها الآن تأمر وتنتهي
الأخريات

ينصتن لها بكل آذان صاغية ... أو لعلها تقوم بزخرفة إحدى شواطئه البعيدة بأقدامها المخملية .

وأثناء حواراته الداخلية أزاح الموج عن فتاة حسناء خيل له أنها هي ... نعم إنها هي أراها الآن لقد امتثلت لتوسلاتي وصلاتي في محراب جمالها، وقام لتوه بخلع ثيابه الخارجية وسابق الموج للوصول إليها وعندما اقترب منها وكاد أن يمسك بيدها فرقهما الموج مرة أخرى ، لكنه لم يستسلم فصارعه بضربات يده وبكل ما أوتي من قوة حتى أمسك بها . نظر إلى وجهها وتأمله ، كانت فتاة أخرى تشبهها تماماً لكن جسدها أقل جمالاً من محبوبته ، سحبها للخارج وعدل من وضع وجهها في المياه التي لا ترحم أحداً ، وظل ينظر بوجهها وهو يقوم بإخراج جسدها المتهاوي لشاطئ البحر.

عندما استيقظت الفتاة من غفوتها لم تجد غيره على الشاطئ ولاحظت شروده ونظره المتكرر إليها

وخوفه الشديد عليها ؛ فشكرته على إنقاذها وقصت عليه دفع الامواج لها أثناء العوم وعدم تمكنها من العودة وكادت أن تهلك

لكن الله أرسله في اللحظة المناسبة لإخراجها فما زال لعمرها بقية
لتنمتع به

وأثناء توديعه قالت له

- بالمناسبة لم أعرف على اسمك .

ابتسم لها وقال :

- أحمد ... وأنت ما اسمك

ردت عليه بكل ود وحنان كأنها تدعوه لمحرابها ونسيان الأخرى :

- اسمي حورية سنقابل حتماً يا أحمد ... ما رأيك .

- أكيد لا يوجد مشكلة .

- أشكرك مرة أخرى وأتمنى أن تجد ما تبحث عنه ؛

فعيونك توضح مكنونك.....

ابتعدت حورية عن أحمد وهو مثبت النظر عليها لكنها اقتلعت قلبه
من صدره بكلماتها

وبدأ يخفق من جديد

تمت بحمد الله